من مطبوعات "المجمع الاسلامى العلمى، لكناؤ، الهند"

٣٠٨

في ظلال السيرة

على صاحبها الف الف تحية وسلام

محمد الرابع الحسني الندوي

المجمع الإسلامي العلمي

ص ب ١١٩ لكناؤ، الهند

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع محفوظة

للمجمع الإسلامي العلمي

الطبعة الثانيه

١٤٣٢هـ ـــــ ٢٠١١م

قام بالطبع والنشر

المجمع الإسلامي العلمي

ص ب: ١١٩ ندوة العلماء لكناؤ، الهند

هاتف 0522 - 2741539

www.abulhasanalinadwi.org

صلى الله عليه وسلم

فِي ظِلَالِ السِّيرَةِ

www.abulhasanalinadwi.org

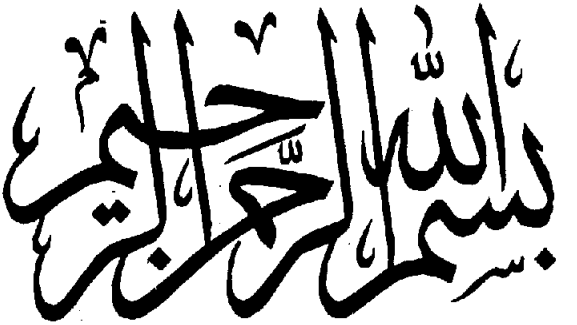

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد ، و على آله و صحبه أجمعين ، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، و بعد :

فهذه مجموعة لمقالات و بحوث عن السيرة النبوية العطرة ، على صاحبها ألف ألف تحية ، كتبها فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الرئيس العام لندوة العلماء ، في مناسبات مختلفة ، يشتمل القسم الأول منها على الافتتاحيات التي كتبها بمناسبة ربيع الأول من كل عام في صحيفة الرائد ، التي أنشأها و رأس تحريرها منذ إنشائها في عام ١٩٥٩م ، و قد تناول في هذه المقالات الجوانب الخلقية لذات الرسول صلى

www.abulhasanalinadwi.org

الله عليه و سلم ، التي تبقى عادة مغلوباً عليها للتركيز على جوانب القيادة و الغزوات، و لا شك أن هذه الموضوعات لها أهمية مركزية و هي جزء هام من السيرة ، و لكن الجوانب الإنسانية و الخلقية و سلوك الرأفة ، و العفو و الصفح و الشعور الإنساني ، ومواقف الحلم و الأناة ، و الصبر تحتاج أيضاً إلى اهتمام الدارسين و العاملين في مجال العمل الإسلامي ، و هذه السمات مقتبسة من تعاليم القرآن الكريم .

لقد اختارت السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم عندما سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه و سلم تعبيراً معجزاً خالداً عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم و هو كان خلقه القرآن ، و وصفه القرآن الكريم بالبشير ، و الهادي، و السراج المنير ، و بالرؤوف الرحيم ، كما ذكر تحمله للأذى ، في الدعوة إلى الله ، و صبره، و سبقه إلى العفو ، و الامتناع عن الانتقام أو رد الأذى مدة طويلة ، و قد كان هذا الصبر، و تحمل الأذى، و عدم الانتقام للنفس، و اللجوء إلى العفو ، و الصفح ، من أبرز سمات السيرة النبوية في سائر مراحل الحياة ، من الطفولة إلى أوج القيادة، و ظهرت هذه السمات في مكة عندما كانت فيه غلبة المشركين و الكفار ، و ظهرت في مكة نفسها عندما دخل محمد صلى الله عليه و سلم فاتحاً ، و في

www.abulhasanalinadwi.org

المدينة عندما دخل مهاجراً ، و عندما قامت فيها دولة الإسلام، و صارت المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية الواسعه .

لقد ألقى الأستاذ محمد الرابع الندوي الضوء على هذه القيم و السلوكيات الإنسانية الذاتية و الاجتماعية ، في هذه المقالات، لتكون حياة الرسول صلى الله عليه و سلم كما أوضح القرآن الكريم أسوة كاملة:﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر ، و ذكر الله كثيراً ﴾ . (الأحزاب : ٢١)

فهو أسوة حسنة في سائر مراحل الحياة للإنسان ، في الطفولة و في الشباب ، و الكهولة ، في الصحة و المرض ، في المعاناة و في الغلبة ، و في مواضع المحنة و الشدائد ، و مواضع النعمة و الرخاء ، في مواجهة الكراهية و العداء ، و في مقابل المحبة و الحنان ، في الخسارة و في الربح ، في الجفاء و الوفاء .

يصف القرآن الكريم هذه الجوانب المختلفة في قوله: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً، و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً ، و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً، و لا تطع الكافرين و المنافقين ، و دع أذاهم ، و توكل على الله ، و كفى بالله وكيلاً﴾.

(سورة الأحزاب : ٤٥ ـــ ٤٨)

هذه المثل و القيم هي رصيد الدعاة ، و المجتهدين ، في

www.abulhasanalinadwi.org

سبيل الحق في كل عصر ، و لذلك يجب أن تكـــون الســـيرة الكاملة للرسول صلى الله عليه و ســـلم المصـــدر الرئيســـي لسلوكيات الدعاة ، و المجاهدين في سبيل الله ، فلا تطـرف ، و لا تراجع ولا تخاذل ، بل الوسطية و الاعتدال ، و إذا حـــدث هذا التناسب و الاعتدال و الاقتداء بأسوة الرسول صلـــى الله عليه و سلم في سائر مجالات الحياة ، و طبقت هذه المقـــاييس النبوية على حياة الفرد و المجتمع ، انتصرت مســـاعي العمـــل الإسلامي بأشكالها و أنماطها المختلفة .

و يشتمل القسم الثاني في المجموعة على بحوث قدمت في الندوات العلمية ، كتبت بأسلوب علمي باحث ، و هي تختلف عن مقالات القسم الأول في الأسلوب ، و لكنها تحمل مشـاعر الحب و الوفاء لذات الرسول صلى الله عليه و سلم بالإضافـــة إلى القيمة الأدبية و العلمية .

و يسعد المجمع الإسلامي العلمي بأن ينشر هذه المقالات و البحوث التي لها صلة بذات الرسول صلى الله عليه وسلم، و حياته و خلقه الكريم .

و قد بذل الأخوان محمد وثيق الندوي مساعد التحريـر في إدارة الرائد ، و محمود الحسن الندوي جهدهما في جمع هـذه المقالات المنتشرة ، من ملفات الرائد ، و مجموعات المقـــالات

www.abulhasanalinadwi.org

الأخرى ، فجزاهما الله خير الجزاء ، و تقبل عملهما ، و وفقنا جميعاً لما فيه رضا الله و رسوله ، و أن نأتسى بهديه صلى الله عليه و سلم .

٢٢ / ربيع الآخر ١٤٢٤هـ — واضح رشيد الندوي
٢٣ / يونيو ٢٠٠٣م — سكرتير المجمع الإسلامي العلمي
ندوة العلماء ، لكهنؤ

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم مؤلف الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و سيد المرسلين محمد، و على آله و صحبه أجمعين ، و بعد :

السيرة النبوية الشريفة هي معدن الفضيلة و منبع خير و كرم للبشرية ، و تتكرر ذكراها في شهر ربيع الأول الفضيل كل عام ، هذا الشهر الكريم الذي هو شهر ميلاد الرسول صلى الله عليه و سلم و شهر هجرته العظيمة ، فقد كان ميلاده ميلاد أعظم رجل في التاريخ الإنساني ، إنه أنقذ الإنسانية المنكوبة من الظلم و الفساد و المهانة و الضلال عندما كان الإنسان قد أصبح في هذه المعمورة الأرضية أحقر شئ في الوجود ، و كان كل شئ أغلى منه و أشرف في نظر الإنسان نفسه ، كان الإنسان قد أصبح لا يوزن فيها إلا بالدرهم و المال، و لا يقاس إلا بالمادة و العتاد ، و كان الحكم حكم

www.abulhasanalinadwi.org

الغابات ، يأكل القوي منه الضعيف ، و يبسط عليه سيادته ، و يهدر كرامته ، و يستهين بالكرامات الإنسانية ، و يخبط بروحه و ضميره في أوحال النذالة و الضلال .

في هذه الحالة السيئة و في القرن السادس المسيحي في يوم من أيام ربيع الأول ولد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم في مكة أم القرى ، و قضى فيها أربعين سنة من عمره نزيهاً عن أكدار الحياة و أوساخها التي كانت سارية حوله في ذلك الحين، ثم حمل مسئولية الدعوة إلى الحق و الإنسانية و الإسلام ، و سرت دعوته في الناس، و نالت قبولاً مدهشاً عظيماً .

ثم في نفس هذا الشهر من بعده بثلاث عشرة سنة من حمله للرسالة السماوية لأهل الأرض قام بهجرة تاريخية خالدة الأثر من مولده المحبوب مكة إلى وطنه الجديد المدينة التي أصبحت فيما بعد نقطة انطلاق عظيم للإنسانية من جميع أوزارها و أغلالها الباطلة التي فرضت الإنسانية نفسها على نفسها ، و أصبحت بداية لعصور الشرف و الكرامة و النور و الهداية للبشر جميعاً .

هذه ذكريات شهر ربيع الأول ، و هذا درسه في كل عام يأتي إلينا فيملأ قلوبنا نوراً و سروراً ،و قد أصبح شهر ربيع الأول و خاصة اليوم الثاني عشر منه مناسبة لعقد اجتماعات و

www.abulhasanalinadwi.org

مجالس لإلقاء الضوء على جوانب مختلفة من السيرة النبوية الشريفة ، و يقدم فيها الشعراء مشاعرهم المنظومة فتصبح هذه المناسبات فرصة للتعرف على مآثر الرسول صلى الله عليه و سلم و تأثير الانقلاب الذي أحدثه في التاريخ ، و الذي تغير به مجرى الحياة ، و تحولت به مسيرة الإنسان ، و نال به حقوقه التي كان سلبها أصحاب القوة و السلطة ، و أدعياء الدين ، حتى ضاقت بفقدها حياته ، فصار أسيراً و هو حر ، و مستعبداً و معرضاً للجور و الظلم ، فحررته الرسالة المحمدية و أعطته كرامته و شرفه ، و قام نظام عادل على أساس هذه التعاليم ، عاش في ظله مدة طويلة بكرامته و شرفه و صلاحياته ، و ملكاته ، بدون أن يطغى عليه طاغ بطغيانه ، أو باغ بعدوانه ، و لكن الذي يبعث على الحيرة و يدل على فساد الطوية أن أهل القلم من أوربا الذين لم يدرسوا السيرة النبوية الزكية التي هي معدن الفضيلة و مكارم الأخلاق دراسة موضوعية ، بل درسوها من زوايا خاصة و هي عصبية القومية و الوثنية و النصرانية و اليهودية السلبية ، إنما تركوا في هذه الدراسة المغرضة مآثر الرسول صلى الله عليه و سلم على الإنسانية و تعاليمه الخلقية ، و ما أفاد بها الإنسانية البائسة ، و بذلك بذروا في نفوس قارئيهم بذور الشك و إساءة الظن ، و أفسدوا بذلك

www.abulhasanalinadwi.org

آراء القاصرين في مطالعة السيرة النبوية من مصادرها الحقيقية ، فظلموا بذلك سيرة أفضل البشر و أبر إنسان ، لقد رأى ذلك هذا الكاتب فساءه فأراد أن يكتب ما ينفي هذا الشر و يبني خيراً في هذا المجال ، فتناول في كتاباته من سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم تلك الجوانب ، و خاصة تلك التي تبني خلق الإنسان ، و تقيم صرح الإنسانية ، و تعالج مشاكلها .

و قد يجد القارئ في بعض المواضع تكراراً لبعض الجوانب ، و لكن هذا التكرار تأكيدي ، أو تكرار يستلزمه الموضوع الذي يتناوله المقال .

و كتبت هذه المقالات بصورة غالبة كافتتاحيات لصحيفة " الرائد " الصادرة من ندوة العلماء بمناسبات اقتضتها، و كتبت مقالات منها كبحوث قدمتها في ندوات أدبية أو فكرية ، و لذلك جعلتها على قسمين ، و لقد سعيت أن يتناول كل مقال منها بصورة عامة جانباً أو جانبين من جوانب السيرة المحمدية على صاحبها صلوات الله و سلامه، و لذلك رغم الاشتراك في الموضوع و المناسبة يجد القارئ فيها تنوعاً ، و يجد وحدة في التنوع ، و سعيت أن يكون ذلك بأسلوب عصري سهل صحفي يقع من نفس القارئ مهما كان مستواه موقعاً حسناً و مفيداً إن شاء الله تعالى ، و أن تكون

www.abulhasanalinadwi.org

موضوعاتها بحيث لا تنقطع فائدتها عاجلاً، بل تحمل الإفـــادة و التأثير رغم تغير الظروف و مرور الزمن . سعيت لذلـــك و لا أدري كم نجحت في هذا ، و في المجموعة مقال ضـــاف كتبتـــه باللغة الأردية ، و قام بتعريبه الأخ العزيز / إقبال أحمد النـــدوي الغازيفوري أحد مدرسي دار العلوم ندوة العلماء ، فله شـكري و تقديري، وأشكر العزيز عبد الرشيد الندوي أيضا،فإنه سـلهم في تعريب موضوعين لهذا الكتاب من اللغة الأردية.

و قد تولى جمع هذه المقالات و تنسيقها لطبعها في شكل كتاب بعينه العزيز / محمد وثيـــق النـــدوي مســـاعد الإدارة لصحيفة الرائد ، و لم يكلفني بأن أبـــذل جـــهداً في جمعـــها و تنسيقها فأشكره على ذلك ، و ساهمه في ذلك العزيز / محمـــود حسن الندوي ، كما تفضل أخي العزيز الأستاذ / محمد واضـــح رشيد الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية و آدابها بـــــدار العلوم ندوة العلماء و رئيس التحرير لصحيفة الرائد بـــالنظر في هذه المجموعة و التوجيه و التحسين في اختيارها و تنســـيقها ، أشكره على ذلك .

و أعدّ شرفاً لي أن تظهر كتابات لي في هذا الموضـــوع الشريف الكريم ، و ربما تنفع بالزيادة في نفوس قارئيها لعاطفة الحب لنبيهم العظيم سيد البشر ، و زيادة الرغبـــة في التأســـي

www.abulhasanalinadwi.org

بأخلاق أكرم إنسان في الوجود صلى الله عليه و سلم ، و أدعو الله تعالى أن يتقبل مني و ينعم عليّ برضاه ، فإنه كريم مجيب .

٢١ / ربيع الآخر ١٤٢٤هـ محمد الرابع الحسني الندوي
٢٢ / يونيو ٢٠٠٣م

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الأول

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

سيدنا محمد رسول الله ﷺ

من سنة الله الجارية في هذا الكون أنه لم يزل يبعث في كل زمان و مكان أنبياء و رسلاً منه لهداية النوع البشري و توجيهه و إرشاده إلى ما فيه صلاحه و فلاحه ، يختار الله لذلك رجالاً و أشخاصاً يؤدون هذه المهمة متبعين لوحي من ربهم مستخدمين لصلاحياتهم البشرية الممتازة و هممهم البالغة ، بكل جد و إخلاص و ورع و أمانة ، يرسلهم الله إلى الأمم المختلفة عندما تنحط أخلاق هذه الأمم ، و يعم فيها الخوض في معصية الله و اقترافها ، يبعثهم الله لتبليغ رسالته إليهم ، و هم أكمل الناس عقلاً و نفساً و أفضلهم خَلقاً و خُلقاً ، و يفوقون أبناء جنسهم في خصائصهم الخلقية و ميزاتهم البشرية ، و قد بدأت هذه السلسلة الذهبية من أبي البشر آدم عليه الصلاة و السلام و انتهت إلى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم نبي آخر الزمان و خاتم الأنبياء و المرسلين ، و كان النبي الأخير محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم أحسن من غيره جميعاً

www.abulhasanalinadwi.org

خلقاً و خلقاً ، و أفضلهم صلاحية و كمالاً ظاهراً و باطناً و أكمل و أوسع في مكارم الأخلاق ، و قد امتاز بصفاته و أعماله بين الأنبياء السابقين أيضاً ، و قد أمضاه الله تعالى من خلال مختلف أحوال الحياة شدة و رخاءاً و صعوبة و يسرا، و من أوضاع الحياة المعقدة و الصعبة، و معاملات مختلفة مع أبناء جنسه و الآخرين ، و هي ظروف إذا احتملها الإنسان فإنها تساعده في الصبر على المكاره و المحن و الشدائد و شق الطريق إلى الأمام ، فقد جعل الله ميلاده كيتيم حيث توفي والده قبل ولادته ، الأمر الذي يقض شعور الطفل الصغير و يجرح قلبه الصغير بين أقرانه و معاصريه من الأطفال ، ثم حرم عطف والدته و حدبها بسبب وفاتها و هو ابن ست سنوات ، و لما بلغ الثامنة من عمره توفي جده العطوف أيضاً، فإن كان الطفل لا يتمكن من الصبر على مثل هذا الحرمان و الشقاء فهو يضل و تنحرف طرق حياته و يقع الشك في نجاحه في الحياة ، و لكنه إذا مر بهذه الصعوبات و الشدائد بالصبر و العزيمة حظيت شخصيته بصلاحيات الصبر على المكاره فهو يختار الطريق الأفضل الموافق لحياته من بينها ، و قد كان الله تعالى قد طبع نفس سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم على الصبر و العزيمة

www.abulhasanalinadwi.org

بصورة خاصة ، كما طبع في نفسه الشعور بفهم مقتضيات الأوضاع و الظروف و إدراكها بصورة لائقة، و مواجهة تحديات الحياة و مجابهتها ليختار منهجاً أفضل للحياة فيه العزة و الصبر و الهمة و الحزم ، و حلّى جيد حياته بحلى مكارم الأخلاق و حسن الطبيعة ، و علاوة على ذلك خلق الله تعالى في نفسه ذوقاً لفهم أسرار الحياة الكامنة و التدبر فيها ، فلما شب و قوي كان يخرج النبي صلى الله عليه و سلم قبل أن يشرف بالنبوة إلى خارج عمران البلد و يقضي جزءاً كبيراً من أوقاته في غار يسمى بغار حراء ، منقطعاً عن الخلق إلى ربه جل و علا ، و يتحنث فيه بقدر ما تعرّف عليه في قومه من طريق الملة الإبراهيمية الموروثة ، و الظاهر أن رغبته هذه لقضاء بعض الوقت خارج العمران في الخلوة كانت لطلب حقيقة سامية وراء الحقائق المادية ، و للبحث عن عالم أعلى وراء هذا العالم المادي ، و هذه فطرة فطر الله خيرة الناس عليها ، ثم لما أراد الله تعالى ـــ نظراً إلى ضلال العرب و العجم عن الصراط المستقيم ضلالاً بعيداً ، و غوايتهم عن الدين الحقيقي القويم ـــ أن يختاره رسولاً منه إليهم للهداية و الإرشاد ، و حينئذ بدأت تظهر من الغيب له إشارات لطيفة و دلالات خفية على

www.abulhasanalinadwi.org

أنه سيكون نبياً من الأنبياء ، فكان الحجر و الشجر قبيل ظهور بعثته عندما يمر متوجهاً إلى غار خلوته يخاطبه بالنبي ، فكان يلتفت إلى الصوت و ينظر يميناً و شمالاً و لكنه لا يرى أحداً هناك ، فكان يتعجب ، حتى ألف سمعه هذه الأصوات و أنس بها ، ثم أتاه جبرئيل عليه الصلاة و السلام في مكان خلوته و تعبده بغار حراء بمقصود هذه الأصوات ، و بلّغ إليه رسالة الله ليبلغها إلى الناس كافة ، و يكون بذلك رسولاً و نبياً ، جاءه جبرئيل عليه السلام أولاً في صورة يأنس بها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ثم ظهر أمامه في صورته الأصلية ملأ بها الأفق أمامه ، و لعل ذلك كان لئلا يشك شيئاً في الناموس الأكبر الذي يأتيه برسالة الله تعالى .

و ألقيت على كاهله مسئولية الرسالة و النبوة التي لم تلق على كواهل غيره من الأنبياء في اتساعها و عمومها و شمولها ، فامتلأ رعباً لشعوره بأهميتها البالغة بقلبه الواعي و عقله الذكي و فراسته الإيمانية ، و ذكر هذا الحادث غير العادي و ثقله العظيم لزوجته العاقلة المخلصة، فهدأت نفسه و سلّته و أزالت عنه روعه ، و كانت من أعرف الناس بأخلاق رسول الله صلى الله عليه و سلم لمكانها منه ، و عشرتها له ، و اطلاعها

www.abulhasanalinadwi.org

على السر و العلانية ، و قد رأت من أخلاق رسول الله صلى الله عليه و سلم و شمائله ، و صفاته الإنسانية النبيلة و خلقه الكريم و سيرته الإنسانية المثالية ما يؤكد أنه الرجل الموفق و المؤيد من الله ، المصطفى من خلقه ، المرضي في سيرته و سلوكه، و جدير بهذه المسئولية العظمى المسئولية العالية المقدسة، فقالت في ثقة و إيمان و في قوة و تأكيد :

"كلا ! و الله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، و تحمل الكل ، و تكسب المعدوم ، و تقري الضيف، و تعين على نوائب الحق " .

و للمزيد من التسلية و تخفيف الوطأ من قلبه رأت أن تستعين في ذلك بابن عمها العالم ورقة بن نوفل و كان قد تنصر، و قرأ الكتب ، و سمع من أهل التوراة و الإنجيل ، فانطلقت برسول الله صلى الله عليه و سلم إليه ، و أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم ورقة خبر ما رأى فصدّقه و قال له : " و الذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، و لقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ." و قد أودع الله تعالى فيه قوة حمل هذه المسئولية، فقبلها و حملها بعلو الهمة و العزيمة ، و رضي بالسير في طرق الدعوة و التبليغ ، المليئة بالشوك والقتاد

www.abulhasanalinadwi.org

وكان قد مر من أحوال شائكة معقدة منذ نشأته .

كان ولد يتيماً من الأب ، ثم أصبح يسيراً من الأم ، و توفي جده العطوف و المربي المشفق حينما بلغ ثماني سنوات من عمره ، و لكنه كان في رعاية الله تعالى و عطفه و كنفه، فوهب له عماً كريماً حظي بعطفه و رعايته و شفقته إلى أن بلغ أشده ، و الذي كان يساعده عندما تقسو عليه الأحوال في طريق مواجهة المعاندين بعد أن أكرم بالنبوة و الرسالة ، و قام بتبليغها، فكان سداً في حقه لكيلا يصل إيذاء الأقارب و الأجانب و عداءهم إلى حد فوق الطاقة ، و إلى غاية لا تحتمل ، و إضافة إلى ذلك رزق زوجة عاقلة ذكية و مخلصة عالية الهمة ، تعاونت معه في جميع الأوضاع الحرجة الصعبة ، و لكن الله تعالى رفع هذه السهولة و التعاون عنه منهما بعد أن متعه بهما لمدة، لئلا ينحصر في ذلك بل ليشق له طريقاً بنفسه ، و يحل جميع المسائل و المعضلات معتمداً على نصر الله تعالى وحده ، و في عونه و رعايته و كنفه ، و يضع نصب عينيه دائماً أن الذي حمّله هذه المسئولية ينصره و يعينه، و لكن لا بد لذلك من الصبر و الاستقامة و العزيمة و الاعتماد على الله تعالى وحده ، فلم يقض رسول الله صلى الله عليه و سلم في طريق الدعوة

www.abulhasanalinadwi.org

الشائكة و أوديتها الملتوية المنعرجة و هو يـــؤدي مســئوليات النبوة منذ بدأها بحماية ما من عمه و زوجته إلا عشر ســـنوات فحسب حتى انتهى هذان السندان العزيزان للتعاون المخلـص ، و لكن لم يفتّ ذلك في عضده، بل ظهرُت منه صلى الله عليه و سلم في مواقع صعبة مختلفة من الصبر و القـــوة و العزيمـــة في شخصيته العظيمة العبقرية ما كان يوافق ذلك المستوى المطلوب الذي كان يطلب منه صلى الله عليه و سلم ، فلو لم يكن ذلـك لكان ذلك خارجاً من حدود تحمله و قوته ، و لكـــن الله هـــو الذي كان شرفه بهذا المنصب العظيم للنبوة و منحه قوة لمواجهة أشد المشاكل و المصائب على أحسن وجه و أتمـــه ، و لأجـــل ذلك كان كفار مكة يؤذونه و يؤذون المسلمين معـــــه إيـــذاءً شديداً فوق طاقتهم و لكنهم يتحملون ذلك صابرين محتسبين ، فكان ذلك من نتيجة تربيته و تأكيده إياهم بالصبر و الثبـات ، و قد وقع بعضهم فريسة للموت بسبب إيذائهم ، و خاصة من ليسوا من أسرة قريشية ، أو من كانوا عبيداً فكانوا أكثر مـــن يواجهون صبراً على الإيذاء ، كما جاء في سيدنا بلال رضـــي الله تعالى عنه أنه كان يخرجه مولاه أمية بن خلف، إذا حميـــت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة

www.abulhasanalinadwi.org

العظيمة ، فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا و الله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، و تعبد اللات و العزى ، فيقول ـــ و هو في ذلك البلاء ـــ أحد ، أحد . و كما وقع لأسرة سيدنا ياسر رضي الله عنه فكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر و بأبيه و أمه إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و يقول : صبراً آل ياسر ! موعدكم الجنة، و حقاً ثبت ياسر و ابنه عمار رضي الله عنهما ، فأما أمه فقتلوها ، و هي تأبى إلا الإسلام . و كان أمر الله لهم أن يصبروا و لا ينتقموا ، و بجانب ذلك كانت تربية رسول الله صلى الله عليه و سلم النبوية لصحابته الكرام و تعاليمه و تأثير خلقه و محبته تنفخ فيهم روح الصبر و العزيمة و القوة و الطاقة في مثل هذا الأذى، و قد مضت هذه المدة المحتوية لثلاثة عشر عاماً منذ بدء الإسلام في هذا الصبر و تجشم المشاق بجانب الدعوة الإسلامية و التربية الإيمانية .

و ذات مرة قال أحد صحابة رسو ل الله صلى الله عليه و سلم له : يا رسول الله ! قد طفحت كأس صبرنا ، و احتملنا الأذى فوق طاقتنا ، فادع الله لنا أن يخفف عنا ، فقال له رسول

www.abulhasanalinadwi.org

الله صلى الله عليه و سلم : مللتم و سئمتم، و قد أتى على من قبلكم من الأحوال ما تقشعر به القلوب ، فإن أبدانهم شـــقت بمشط الحديد ، فصبروا ، فاصبروا و اطمئنوا ، فقد يأتي عليكم زمان تغلبون فيه ، و أما رسول الله صلى الله عليه و سلم فتفنن أعداءه من قريش في إيذائه ، فلم يرعوا فيه قرابة ، بل تخطـــوا حدود الإنسانية:

يلقى على جسمه و هو في الصلاة الأذى من كـــرش الحيوان ، و أحياناً تزرع في طريقه الأشـــواك ، و ذات مـــرة عامله أبو جهل عدوه الأكبر معاملة القسوة و الجفاء للغاية، مر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم عند الصفا فآذاه و شتمه ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه و ســـلم فانصرف عنه ، و لم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه ، و كان أعز فتى في قريش ، و أشد شكيمة ، و أخبرتـــه مولاة عبد الله بن جدعان بما جرى لرسول الله صلى الله عليه و سلم فاحتمل حمزة الغضب ، و دخل المسجد ، و رأى أبا جهل جالساً في القوم، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأســـه رفـــع القوس ، فضربه بها ، فشجّه شجّة منكرة ، ثم قال : أتشـــتمه و أنا على دينه ، أقول ما يقول ؟ فسكت أبو جـــهل ، و أســـلم

www.abulhasanalinadwi.org

حمزة، و عز ذلك على قريش لمكانته و شجاعته .

ثم وقع أن أيد الله الإسلام و المسلمين بإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، و كان رجلاً مهيباً ، ذا قوة و شكيمة، و كان من أكبر أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم حريصاً على إسلامه ، يدعو الله لذلك ، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه ، يريد رسول الله صلى الله عليه و سلم و رهطاً من أصحابه ، قد ذكر له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا ، فلقيه نعيم بن عبد الله و هو من قومه بني عدي ، و كان قد أسلم فقال له : أين تريد يا عمر ؟ قال : أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش ، و سفه أحلامها ، و عاب دينها ، و سب آلهتها ، فأقتله.

فقال له نعيم : لقد غرتك نفسك يا عمر ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك ، فتقيم أمرهم ؟ قال عمر : و أي أهل بيتي ؟

قال : ابن عمك سعيد بن زيد ، و أختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، و تابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما .

و رجع عمر عامداً إلى أخته و ختنه ، و بطش عمر

www.abulhasanalinadwi.org

بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة ، لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك ، قالت له أخته و ختنه : نعم ، قد أسلمنا و آمنا بالله و رسوله ، فاصنع ما بدا لك ! و لما رأى عمر ما بأخته من الدم ، ندم على ما صنع ، و توقف و قال لها : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤونها آنفاً ، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، فلما قرأ القرآن أثر في قلبه ، ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أسلم .

و كان قد أمر الله تعالى في هذه المدة الأولية المشتملة على ثلاثة عشر عاماً بالصبر فقط ، فقال : كفوا أيديكم ، و أقيموا الصلاة ، يعني استعينوا و تقووا بالرجوع إلى الله تعالى و الإنابة إليه ، و الدعاء و العبادات و الابتهال و المناجاة ، و اصبروا على ما يصيبكم من الأذى في هذا السبيل ، و لا تنتقموا ، فعمل المسلمون كلهم بهذا الأمر بروح من الإخلاص و الطاعة ، و هكذا تربى المسلمون على روح التضحية و الفداء في سبيل الإسلام ، و كانت هذه المرحلة المحتوية لثلاثة عشر عاماً مرحلة التدريب و التربية على الإيمان و الحق و اليقين بالنسبة للمسلمين ، و كانت هذه المرحلة مرحلة التربية التي لم يبق بعدها أي اضطراب و ضعف في سبيل الإيمان و الحق، و قد

www.abulhasanalinadwi.org

أصبح المسلمون جماعة لا تتردد في تقديم أي نوع من التضحيات من الأنفس و الأموال في سبيل الله تعالى، و قد حصل هذا الأمر للمجتمع المسلم بعد ما مر بهذه المرحلة للتربية الإيمانية ، و للقيام بالجهد المستطاع في سبيل تبليغ الحق إلى الناس .

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم نموذجاً و قدوة صالحة للجميع في هذا المجال ، و كان هو الهدف الحقيقي لسهام أعداء الإسلام في الحياة المكية ، فكان إذا جاء ليصلي في بيت الله الحرام آذوه و سبوه و شتموه و لكنه يرجع صابراً ساكتاً بعد الصلاة ، و لا يثور و لا يغضب شيئاً ، فبينا النبي صلى الله عليه و سلم ساجد ذات يوم في المسجد ، و حوله ناس من قريش ، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور ، فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه و سلم فلم يرفع رأسه ، فجاءت ابنته فاطمة رضي الله عنها فأخذته من ظهره . و كان يزرع في طريقه الشوك و لكنه يتلقى كل ذلك صابراً محتسباً ، و كانت ابنتاه تحت ابني أبي لهب ، فأجبرهما حتى طلقاهما . و مرة اجتمع رؤساء قريش و انطلقوا إلى أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و قالوا له بلهجة صريحة جازمة إما أن تكفه عنا

www.abulhasanalinadwi.org

و إما أن ننازله و إياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ، و عظم على أبي طالب فراق قومه و عداوتهم ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال له :

"يا ابن أخي ! إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا و كذا ، فأبق عليّ و على نفسك ، و لا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق " .

و ظن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أبا طالب قد اضطرب في أمره ، و ضعف عن نصرته و القيام معه ، فقال :

"يا عم ! و الله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ما تركته " .

و استعبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فبكى ، ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخي ! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشئ أبداً .

و لما حضرت الوفاة هذا العم الكريم العطوف أبا طالب رغب رسول الله صلى الله عليه و سلم في إسلامه فقال له : قل لا إله إلا الله ، و لكنه لم يقل كلمة التوحيد خوفاً من قومه أن

www.abulhasanalinadwi.org

يطعنوه عليه ، و إن كان العباس رضي الله عنه أحس أنه قـــرأ كلمة التوحيد ، و لكن رسول الله صلى الله عليه و سلم قـال : لم أسمع منه ، فحزن عليه ، و لكنه لم يقم بإساءة إليه على عـدم استجابته ، و لم يقم بإكراهه لتغيير الدين ، و لم ينطق بعد ذلـك بكلمة يطلب فيها رحمة الله لعمه أبي طالب مع تقديره الكبير لـه على ما كان يقوم به من حمايته ، و ذلك لأن الله تعـالى نهـى المسلمين عن طلب المغفرة للمشركين و لو كان آباء و أمهات ، و لم يرو عنه صلى الله عليه و سلم استغفار لأبويه كذلـك ، و لم يقل لأحد مهما كان محباً لديه كلمة تعارض مقتضى الأمـر الإلهي في ذلك ، مهما كان صلته برسول الله صلى الله عليـه و سلم قوية و وطيدة .

و لما مات أبو طالب نال رسول الله صلى الله عليـه و سلم من قريش من الأذى ، ما لم تكن تطمع فيه قريـش . في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنـثر على رأسه تراباً .

و لما اشتد أذى قريش ، و انصرافهم عن الإسـلام ، و زهدهم فيه ، خرج رسول الله صلـى الله عليـه و سـلم إلى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف و أن يدخلوا في الإسـلام، و

www.abulhasanalinadwi.org

كان له أمل في أهل الطائف ، و لا غرابة في ذلك فإنه رضع في بني سعد و هم بمقربة من الطائف و فيهم مراضعه و حواضنه .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم الطائف ، عمد إلى نفر منهم سادة ثقيف و أشرافهم ، فجلس إليهم ، و دعاهم إلى الله ، فكان ردهم شر رد ، و استهزأوا به صلى الله عليه و سلم و أغروا به سفهاءهم و عبيدهم يسبونه و يصيحون به ، و يرجمونه بالحجارة ، و كان ما لقي في الطائف أشد ما لقيه من المشركين في مكة ، و قعد له أهل الطائف صفين على طريقه، فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه إلا رموهما بالحجارة ، حتى أدموه ، و هما تسيلان دماً، و فاض قلبه و لسانه بدعاء شكا فيه إلى الله ضعف قوته ، و قلة حيلته ، و هوانه على الناس ، و استعاذ بالله تعالى و بنصره و تأييده .

فأرسل الله إليه ملك الجبال ، يستأذنه في أن يطبق الأخشبين ، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئاً ، و لم يدع عليهم رغم ما ناله منهم من أذى شديد.

و كانت هناك حادثة أخرى أشد من أولاهما و هي أن قريشاً أرادوا القضاء على حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، و

www.abulhasanalinadwi.org

كانوا قد أصبحوا أشد عداءً لرسول الله صلى الله عليه و سلم و أكثر جراءة عليه بعد وفاة أبي طالب عمه الشفوق العطوف ، فصمموا على قتله في ليلة من الليالي ، و أطلع الله نبيه صلى الله عليه و سلم على هذه المؤامرة الخبيثة ، و أذن له بالهجرة ، فهاجر من مكة وطنه العزيز إلى المدينة المنورة بإذن من ربه تبارك و تعالى ، و كان له فيها أنصار و كانوا وعدوه بنصرهم و تعاونهم ، و فعلوا ذلك حقاً ، و كان عدد كبير من المسلمين قد هاجروا قبله إليها ، و كانوا يستفيدون بحمايتهم و نصرهم فيها ، و لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم في المدينة المنورة أصبحت بذلك للمسلمين فيها جماعة تعيش فيها حياة حرة، و كان لها خيار في وضع نظام لحياتها ، فبدأت من هنا مرحلة جديدة لحياة المسلمين ، و لكن ليست هذه المرحلة أيضاً مرحلة ذات راحة و طمأنينة كبيرتين ، بل كانت هي أيضاً مليئة بالأشواك و القتاد ، و كانت مرحلة المرور من مصائب هذه الحياة الجديدة و اختيار الاستراتيجية اللائقة بصفات من الصبر و الثبات و العزيمة و الشكيمة ، و الإيمان و اليقين ، كانت المرحلة الأولى الممتدة على ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة قبل مرحلة ما بعد الهجرة قد مرت في تحمل متاعب

www.abulhasanalinadwi.org

الحياة الانفرادية و الصبر على عداء الأقارب و الأصدقـــاء و إيذائهم ، و كانت مرحلة للثبات الشديد على الإيمان و العزيمة، و القيام بالدعوة و التبليغ مع اختيار مكـــارم الأخـــلاق ، و لم يؤذن لهم فيها مقاومة الظلم للانتقام و أخذ الثأر . أما هـــذه المرحلة الجديدة التي بدأت في المدينة المنورة فكـــانت مرحلـــة ترتيب الحياة الاجتماعية بمقتضى أهداف الدعوة الدينيـــة ، و معالجة شؤونها بوضع مطالب دين الحق نصب الأعين ، و كانت المعاملة فيها مع أنواع مختلفة من النوع البشري و الجماعـات و المخالفات غير قاصرة في حدود الأقرباء و الأعزة ، و كـــانت هذه الحياة أيضاً حياة مواجهة مشاكلها الخاصة و مصائبـــها ، فقد جاءت فيها تحديات لحياتهم الاجتماعية الجديدة ، كـــان يجب على المسلمين أن يقاوموها و يجابهوها ، فالهجمـــات الآن كانت مسلحة ، و التقصير في شأنها يقضي على جماعة المسلمين كلها ، و تموت الدعوة بموت جماعتها ، فلم يكـــن بـــد مـــن مقاومتها بنفس القوة ، و كان المســـلمون في الحيـــاة المكيـــة مستضعفين و مغلوبين جداً ، و لكنه صلى الله عليـــه و ســـلم يملك همة و عزيمة لا تهزم و كان كاملاً في إيمانه و عملـــه ، و كان من الحكمة أن لا يعرض جماعته للهلاك لقلة عتادهـــا ، و

www.abulhasanalinadwi.org

لكون الجماعة في مرحلة تدريبها الديني و الدعوي فكان فيهم الضعف في أمر المواجهة يقتضي الهمة و العزيمة في العقيدة و العمل بصبر و حكمة بالغين ، أما الآن في الحياة المدنية فحصلت له قوة اجتماعية مكان الضعف و الفتور ، و بناءً على ذلك كان يجب عليه أن يعامل أعداءه سواءً بسواء ، و أن يبدي رد فعله المناسب على عداوتهم ، و هكذا كان عليه أن يختار الهمة و العزيمة في هذه الأوضاع المتطورة بأسلوب و طريقة جديدين، و لم يحدث أي تغير في مشاكل الحياة السابقة ، و إنما تغيرت أساليبها و طريقتها ، فظهرت المشاكل في الحياة الاجتماعية التي كانت تفتقر إلى الهمة و العزيمة و الصبر و الشكيمة و الحكمة كما كانت تحتاج إلى ذلك فيما قبل ، و لكن بإضافة قوة و استقلال حصلا للمسلمين الآن ، و أرشد النبي صلى الله عليه و سلم أصحابه إلى ذلك ، و جعل نظام الحياة وفقاً لمقتضيات الحياة الجديدة ، و أثبت صبره و عزيمته في مواجهة الشدائد و المشاكل ثبوتاً كاملاً .

و كان أعداء المسلمين يهجمون عليهم هجوماً اجتماعياً، و يواجههم رسول الله صلى الله عليه و سلم مع المسلمين بمثل ذلك بالمقاومة ، و بجنب ذلك كان يتعرض في

www.abulhasanalinadwi.org

داخل المدينة لمكائد غير المسلمين من أهل الكتاب و من المنافقين من العواطف و العزائم المعارضة السرّية التي كانت تظهر منهم، فكان يقف من ذلك موقف الصبر و التحمل ، بالقوة و الثبات حيناً و بالهمة و العزيمة حيناً آخر .

و قد منح الله تعالى رسوله صلى الله عليه و سلم صفات إنسانية جامعة عجيبة ، صفات جعلته يحترمه المجتمع كله لكرامة نفسه و حسن معاملته و محبته و إخلاصه لخير الجميع ، و لم يقصر في الهمة و العزيمة التي كان يقوم بهما في مجتمعه ، و لم يسر في صورة الاختلاف مع أحبته و أقربائه إلا على درب الحق و العدل و الكرم .

و قام بأداء مسئوليته على أحسن وجه و أتمه ، وفقاً لهدفه الأسمى و غايته النبيلة ، في كل ما يعرض له من شؤون و أحوال ، و إنما كانت أخلاقه و طويته هكذا منذ طفولته و بدو شعوره التي تبدأ من السنة السادسة في حياة كل إنسان كان فيه الصبر و الاحتمال و الاستقامة و سداد العمل ، قد فقد أباه و أمه ، و لكنه لم يؤثر ذلك في تكوين حياته و تشكيل سيرته و سلوكه ، و اكتفى بما نال من أقاربه من المحبة و الولاء ، و ترك في مجتمعه أثراً صالحاً قوياً لأخلاقه الفاضلة و عاداته الكريمة في

www.abulhasanalinadwi.org

عنفوان شبابه حتى أقر به الجميع و اعترفوا به ، و سد حاجة معاشه في حياته العملية بأسلوب كريم ، و بدأ حياته العائلية على مستوى كريم ، و لما أكرم بالنبوة أدى مسئوليتها و مقتضياتها على أحسن طريق ، و احتمل ما أصابه من الأذى في هذا السبيل بوجه طليق ، صابراً محتسباً ، و لما أراد أعداؤه القضاء على حياته الكريمة ترك أهله و دياره و هاجر إلى بلد أجنبي ، و بدأ هناك مرحلة جديدة من حياته ، و قد تم ذلك كله تحت نظام الله الخاص و سنته الخاصة ، فيقول الله تعالى :

﴿و الضحى ، و الليل إذا سجى ، ما ودعك ربك و ما قلى ، و للآخرة خير لك من الأولى، و لسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيماً فآوى ، و وجدك ضالاً فهدى ، و وجدك عائلاً فأغنى ، فأما اليتيم فلا تقهر ، و أما السائل فلا تنهر ، و أما بنعمة ربك فحدث.﴾

(سورة الضحى)

إنما تشير هذه السورة إلى المعاني الآتية ، هي أنه ولد يتيماً و نشأ يسيراً ، فكان إنساناً محروماً في طفولته ، و لكن ما ودّعه الله و ما تركه ، بل تولاه و حماه ، و جاء شبابه فأعطاه

www.abulhasanalinadwi.org

الله مقام النبوة ، فجرّ إليه أداء مسئوليتها المصائب و الشدائد فاحتملها لينال أجرها في الآخرة ، و كان في أوائل حياته قليل المال عائلاً على غيره فأغناه الله تعالى بما قدر له من أسباب الرفاهية .

و لما تجاوز الأعداء في مكة المكرمة في عدائهم و مخالفتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم الحدود و لم يراعوا قرابة و إلا و لا ذمة ، انتقل إلى المدينة المنورة ـــ زادها الله تعالى شرفاً و كرامة ـــ بإذن من ربه ، و لكن أعداء مكة لم ينتهوا عن عدائهم بعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة المنورة أيضاً ، بل خلقوا أجواءً و ظروفاً للحرب و القتال ، و سلطوا على المسلمين حرباً بعد حرب ، و قام كفار قريش حتى في السنة الأولى بشن الحرب عليه و على جماعته ، و قطعوا لذلك مسافة ٣٠٠ كيلو متر ليصلوا إلى جماعة المسلمين ذات العدد القليل ، و كانت هي أول حرب على جماعة المسلمين ، و أما الحرب الثانية فقد قاموا بها بعد ما قطعوا مسافة ٤٥٠ كيلو متراً ، و وصلوا إلى المدينة المنورة لغزوة أحد ، و حاربوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه ، و كرروا ذلك في غزوة الأحزاب، و هكذا كانت

www.abulhasanalinadwi.org

الحروب و المعارك تجري و تستمر، و لم يزل رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون معه يواجهون غارات الأعداء بحكمة و تدبير و بالمثل الإنسانية العليا .

و كانت في المدينة المنورة جماعة من اليهود عقد رسول الله صلى الله عليه و سلم معهم عقد الصلح و الجوار المسالم ، و لكنهم مالوا إلى كفار مكة خفية و تآمروا معهم ضد المسلمين ، و لما ظهر غدرهم و نقض عهدهم قام رسول الله صلى الله عليه و سلم باتخاذ إجراءات لائقة بجريرتهم ، و فعل ذلك كله رسول الله صلى الله عليه و سلم بحكمة و تدبر و حزم و روية بحيث نجد في ذلك نموذجاً عالياً لمراعاة العقل و الحكمة ، و الكرم و الإنسانية ، و رعاية للصديق و العدو سواءً بسواء ، و هكذا كانت مراحل حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم الطيبة الأربعة ، من الطفولة إلى الشباب ، و من الشباب إلى أن أكرم بالنبوة ، ثم حياة النبوة المكية ، ثم حياته المدنية ، قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه المراحل الأربعة للحياة مع القيم الفاضلة ، و الطهر و العفاف ، و الفهم و الذكاء ، كان أسلوب عمله في كل مرحلة من هذه المراحل أسلوباً إنسانياً حازماً كريماً و عاقلاً ، قام بمعالجة شؤون الحياة الفردية و

www.abulhasanalinadwi.org

الجماعية بما يليق بها حسب المثل الإنسانية العليا بقضاء حاجات الحياة بأخلاق إنسانية فاضلة ، و أداء حقوق المجتمع في الأحوال الإيجابية و السلبية بطراز لائق ، و معاملة الأعداء و الأصدقاء في حدود القيم العالية الكريمة ، و قدم نماذج رائعة لكل ذلك تدهش العقول ، و إذا عرضنا هذه النماذج مفصلة بالبسط و الشرح لا يكفي لذلك صفحات، و إنما يتطلب ذلك مجلدات ضخمة ، فينبغي لنا أن نطالع سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم الطيبة بإلقاء النظر في جميع هذه النواحي و الجوانب ، فإنه ينفتح بذلك أمامنا عالم واسع للإنسانية ، و تكون هذه الأمور قدوة و أسوة لحياة المسلمين في مراحلها المختلفة ، و قد أمر الله تعالى المسلمين باتخاذ سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم أسوة لهم فقال:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر ، و ذكر الله كثيراً﴾. (سورة الأحزاب : ١٢)

و باتخاذ رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه السيرة الحكيمة العالية ذات العزيمة و الاحتمال تفتحت له سبل الكرامة و النجاح في حياته الفردية و حياة جماعته الكريمة ، و

www.abulhasanalinadwi.org

حصلت له السهولة و اليسر في إقامة حياة اجتماعيـــة وفقـاً لمقتضيات الإسلام في المدينة المنورة بتعـــاون جماعتـه المؤمنـة المخلصة المجاهدة من متبعيه ، و إيجاد بيئة صالحة للعمل الجماعي المتكامل ، سنح له بذلك تنظيم حيـــاة دعويـة و تربويـة و اجتماعية شاملة تكون أسوة و مثالاً رائعاً مســـتمراً لصـــلاح البشرية طيلة الأجيال ، و قام المسلمون بعمل الدعوة إلى الدين الحق على نطاق أوسع ، فاستقام الدين الحق في معنى الكلمـة في الحياة الفردية و الاجتماعية ، و أقام النبي صلى الله عليه و سلم في ظل التوجيه الرباني و بطريقته النبوية مجتمعـاً ذا خصـائص إنسانية عليا و ربانية لم يحدد قيمه و طرق عمله فحســب بـل درب أصحابه عليه ، و قدم فيه أخلاقاً عالية ، و سيرة إنســانية مثالية ، و المؤاساة فيما بين الناس ، و بلغ رســالة النجـاح و الفوز و الفلاح في الدنيا و الآخرة إلى أولئك الذيـــن كـانوا بعيدين عن الصراط المستقيم و الدين القويم، و بدأ العمل لتبليغ رسالة فلاح الإنسانية و صلاحها إلى عالم النوع البشري كلـــه على المستوى القومي بل على المستوى العالمي ، خارجـاً مـن الدوائر المحدودة الضيقة .

و لإدراك هذه الحقائق و المعاني لا بد من فـــهم هـذه

www.abulhasanalinadwi.org

الحقيقة أيضاً أن أول غزوة في الإسلام و هي غزوة بدر وقعت بعد ما استمر المسلمون يعانون من اضطهاد و جور و ظلم في الحياة المكية الممتدة على ثلاثة عشر عاماً لم يزالوا فيها يتحملون المصائب و الشدائد من قبل المشركين ، حتى اضطروا إلى هجر ديارهم و أموالهم و هاجروا إلى المدينة المنورة بعد ما قاموا بالصبر و الاستقامة على كل ما يصيبهم من أذى من كفار مكة و مشركيها ، كما ذكرنا ذلك في الصفحات الماضية ، و ذلك لقول الله تعالى : "كفوا أيديكم و أقيموا الصلاة" فعمل المسلمون بما أمروا ، و لم يتخذوا طريقة من الثأر و الانتقام ، و اشتغلوا بجهاد نفوسهم و دعوة الآخرين ، و لكنهم لما تركوا الوطن و هاجروا إلى بلد آخر تكوّن فيه مجتمعهم و أصبحت لهم وحدة اجتماعية ثم حاول المشركون إيذاءهم و ظلمهم ، فكان الظلم قد بلغ إلى المدى و استحق المقاومة ، و حينئذ جاء إذن لهم في القتال و رد الظلم إلى الأعداء ، فكانت غزوة بدر أول فرصة لرد كيد الأعداء إليهم ، و إذاقتهم مرارة الانتقام ، و كانوا قد نزلوا في ميدان القتال معتمدين على الله تعالى فحسب ، فنصرهم الله نصراً مؤزراً خاصاً ، و نزل ملائكة الله في القتال بصورة عملية ، و وقعت الهزيمة على جيش الكفار ،

www.abulhasanalinadwi.org

و نال المسلمون شفاء صدورهم لأول مرة في ثلاثة عشر عاماً، و كانت هذه الجائزة تحمل ثلاث ميزات و خصائص :

الميزة الأولى أنهم نجحوا في قضاء ثلاثة عشر عاماً قائمين على القيم و المثل العليا في الأوضاع الحرجة، و لم تزلزل همتهم و عزيمتهم مع الصبر عن طلب الانتقام من العدوان و الطغيان ، و ذلك لمجرد الامتثال لأمر الله تعالى ، فنجحوا في امتحان الطاعة و الامتثال و تقديم الصبر و الاحتمال مأة في المأة، و بذلك تربت نفوسهم على ضبط النفس و الصبر على الأذى ، و نشأ فيهم بفضل ذلك الثقة و الاعتماد الذي ثبت أقدامهم في الحياة النضالية في المستقبل، و انقلبوا إلى طاقة لا تقبل الهزيمة و الضعف أبداً بجانب كونهم عباد الله المطيعين المخلصين .

و الميزة الثانية هي أن الله تعالى قبل منهم ما قدموه من التضحيات بالأنفس و الأموال بالصبر و الثبات ، و ما لقوه من ظلم و جور و قهر و اضطهاد في سبيل الله تعالى ، و جعلهم يستحقون الجنة و النعيم ، بشّرهم بذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و هي أعظم بشارة لهم ، و الفوز العظيم و النجاح الكبير .

www.abulhasanalinadwi.org

و أما الميزة الثالثة فهي أنهم عندما أذن لهم بالمواجهة بالقوة تيسّر لهم ذلك لكونهم متعودين على المشقة و التضحية عند ما تحداهم خصومهم و نادوهم للمواجهة بالقوة ، فقاموا بذلك بشهامة و بسالة ، و انهزم العدو الجرئ المتكبر الذي كان يصب عليهم ويلات الظلم و العدوان ، و لما انهزم الكفار على أيدي المسلمين حصلت للمسلمين قوة مدافعة أمام الأعداء و رفعوا رؤوسهم أمامهم بالاعتماد الكامل و الثقة المطلوبة ، فحصلت للمسلمين الفوائد المذكورة فيما أعلاه في صورة الانتصار في غزوة بدر بفضل مواظبتهم على قيم دينهم العليا ، و أصبحوا أمة قوية ذات عزة و كرامة و هيبة و مهابة ، ثم لم يزالوا يواجهون الأعداء بنجاح حتى دخلوا مكة المكرمة في السنة الثامنة من الهجرة فاتحين ، و نالوا هذا الفتح و الانتصار بدون حرب له و قتال ، و رأوا أن الذي يحصل بالعمل بالمثل العليا من النجاح و الانتصار لا يحصل بمجرد الاعتماد على القوة و الطاقة .

و إذا استعرضنا سيرة رسو ل الله صلى الله عليه وسلم استعراضاً كاملاً ظهر هذا الأمر جلياً أن هدف رسول الله صلى الله عليه و سلم في هذا الجهد المضني و حياة الصبر و المشقة

www.abulhasanalinadwi.org

كان تنفيذ أمر الله تعالى في عباده و هو إرشاد المجتمع الإنساني الضال إلى الصراط المستقيم ، و صرف الإنسان عن الطرق المردية المنحرفة البهيمية إلى طاعة خالقهم و مالكهم و امتثال أوامره ، و دعوتهم إلى اختيار المثل الإنسانية العالية و التعاضد و التعاون فيما بين المؤمنين و المطيعين لأمر الله ، و اتخاذ صفات و أخلاق تؤهل الإنسان لكونه أشرف المخلوقات ، و بذل أقصى ما في الوسع في هذا المجال ، و يرى الدارس للسيرة النبوية العطرة أن جميع الأحوال و الوقائع تدور حول هذا الغرض الرئيسي، و يتضح عياناً أن الحرب و القتال لم يكن إلا في حدود الإنسانية و الأخلاق الكريمة و في نطاق محدود ، و يظهر من ذلك أن أحوال حياة رسو ل الله صلى الله عليه و سلم و أحداثها قد وقعت و ظهرت بصورة تجعلها أسوة و قدوة لحياة المسلمين إلى يوم القيامة في مراحلها المختلفة ، و هي ستبقى نماذج صالحة إيمانية و أسوة إلى يوم القيامة ، فقد مرت حياة رسو ل الله صلى الله عليه و سلم بأنواع من المحن و الشدائد ، و بأحوال فيها مسرة و رضا ، و بأحوال فيها السلم و الأمن ، و بأحوال فيها الحرب و القتال ، و بأحوال فيها عداوة الأعداء و مكائد الكائدين ، و بأحوال فيها حب

www.abulhasanalinadwi.org

الإخوان و طاعة الأتباع ، و بأحوال ذاق فيها مرارة شئ من الهزيمة ، و بأحوال فيها فتح مبين جاء بعزة و كرامة سرّته و سرّت صحابته الكرماء ، و هكذا أصبحت حياته الطيبة الكريمة نموذجاً لجميع أفراد البشر المؤمنين كلهم ، و كانت أسوة سامية للتعليم و التربية و إعلان الحق و نفع الناس بالإرشاد و التوجيه أيضاً .

صلى الله عليه و سلم تسليماً كثيراً كثيراً . و جزاه الله جزاء أكرم و أوفى على ما احتمله و صبر عليه من الأذى و الألم لهداية الأمة و صالح النوع البشري ، و قدم دليلاً و شهادة على رحابة صدره ، و كريم صبره و قيامه بما يرضى الله تعالى به من عمله .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

لقد بعث الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم معلماً للإنسانية، ومربياً لها، وهادياً إلى ما فيه سعادة الإنسان وخيره وفلاحه في الدنيا والآخرة، وحكيماً في أداء شئون الحياة، متحلياً بمكارم الأخلاق، ومرشداً إلى الخير والفضيلة والسلام ، وكان مطبوعاً على حسن الخلق، والفضل، وعلى طلب الخير للجميع، والسعي لبناء مجتمع إنساني فاضل، داعياً إلى خصائل الخير من صدق القول، وحسن العمل، والأمانة، وإسداء المعروف لذوي الحاجة، ونصرة الضعفاء فكان تأثيره في نفوس أبناء قومه وجيرانه عظيماً فصار محبوباً لدى الجميع، وأصبح يدعى بالصادق الأمين، وكان أعداؤه ينقلبون أصدقاء له إذا اتصلوا به ورأوا كرمه وحسن سلوكه في الحياة، ويهابونه محبة له إذا نظروا إلى محياه الكريم واستمعوا إلى بعض ما يفيض به لسانه الفصيح المبين، وقد يأتيه الرجل يريد به شراً وينوي

www.abulhasanalinadwi.org

قتله إذا به يرجع مؤمناً صادقاً يحمل الحب والإيمان، قد تغيرت إرادته، وتغيرت عقيدته، وتغير قلبه وضميره، بل قد تغير كيانه ووجوده كله.

وقد اتسم منذ الصغر بسمات الخير، وبدت عليه مخايل الخلق النبيل والصدق والأمانة، فصار بذلك موضع تقدير الناس وثناءهم جميعاً يعرف بينهم بالصدق والكرامة وحسن الخلق والأمانة، وأصبح موضع ثقة لديهم إذا افتقروا إلى من يحكم بينهم في أمر فيه اختلاف شديد، ومثاله هو ما حدث عند اختلاف في وضع الحجر الأسود، عند إعادة البناء لبيت الله المحرم، وكانت كل قبيلة تريد أن يكون لها هذا الشرف العظيم شرف إعادة الحجر الأسود إلى موضعه في البناء، واشتد الخلاف في ذلك إلى أن آل الأمر إلى أن يقع بينهم قتال، وكان في ذلك خطر الهلاك والشر المستطير فأتاح الله لهم منهم شيخاً محنكاً كبير السن أشار عليهم بأن يرجعوا في ذلك إلى حكم يحكم بينهم، واقترح لذلك أول من يدخل من باب المسجد في صباح الغد الباكر، ووقع أن كان أول داخل عليهم في صباح اليوم الآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه الناس فرحوا به وقالوا: هذا الأمين رضينا به، هذا محمد، واختار الرسول عليه الصلاة والسلام لإنهاء هذا الخلاف الذي كان لقبيلة قريش شراً

www.abulhasanalinadwi.org

كبيراً وفتنة عظيمة، رأياً كان حكمة ليست فوقها حكمة، أصبحت ذريعة لصد خلاف كان ليجر إلى القتال، وقد دلت طريقته هذه على ما سيكون له من دور عظيم لدفع أسباب الحروب والشرور عن الشعوب والأمم بعد النبوة، وكانت حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دعا بثوب ووضع فيه الحجر، ثم قال:لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ليرفعوه جميعاً معاً، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده فحصل البناء عليه بدون خلاف.

وإن الذي يثير العجب أن الكفار الذين كانوا يثقون به كل هذه الثقة تحولوا بعد ما بدأ دعوته إلى التوحيد وإلى نبذ ما صنعوه بأيديهم من الأصنام إلى أعدائه فسخطوا عليه وآذوه وناصبوه العداوة حتى أرادوا قتله، ورغم ذلك أنه دام لديهم محل الثقة والاعتماد في صدقه وأمانته وعفته حتى إنهم كانوا استمروا يأتمنونه على ودائعهم، فلما أذن الله تعالى لنبيه بترك وطنه والهجرة منها، كان عنده هذه الودائع فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أخاه من عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن يتخلف بمكة حتى يؤديها عنه، فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الأمانات إلى أهلها، وصدق على نفسه ظن الناس به، وصدق قول الله تعالى:﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.{سورة الأنعام: ٣٢}

بلغ الرسول عليه الصلوات والتسليمات في صفاته الطيبة وأخلاقه الحسنة إلى الذروة التي قصر عنها الناس قاطبة، ومن هذه الصفات الرحمة والرأفة والمودة لجميع الناس مع الإبقاء على التوحيد الخالص لله والتجريد له، وكان يدعو الناس إلى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يكرههم ولا يشدد عليهم في ذلك، روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قفل من غزوة فأدركته القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله تحت سمرة يستريح ويستظل بها، وعلق بها سيفه ونام، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله معلق بالشجرة فاخترطه فقال: من يمنعك مني قال: الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: لا ولكني أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله ولم يكرهه على الدين ولم يعاقبه[1]، مع أن هذا الرجل كان أغضبه ثم صار تحت سيطرته كان يستطيع منها أن يجبره على قبول طاعته،

---

[1] انظر صحيح البخاري رقم الحديث/ ٢٩١٠.

www.abulhasanalinadwi.org

ولكنه لم يفعل ذلك بل تركه وعفا عنه.

وكان صلى الله عليه وسلم يعامل أصحابه معاملة الإخوان رغم أنه كان رسولاً مطاعاً وكانوا أتباعاً له فقد كان يتكلم معهم كصديق مع صديقه، ويتحدث ويتعجب إذا تعجبوا، ويفرح إذا فرحوا، ويحزن لأمر محزن، ويشاورهم في الأمر، ولا يترفع عليهم ولا يتعاظم مع أن الله جعله عظيماً معظماً، فخماً مفخماً، وأمر المؤمنين بأن يعزروه ويوقروه ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوته ولا يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض[1]. وكان صحابته يتأدبون معه بكل هذه الآداب إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من نفسه يتعامل معهم بالتواضع والمحبة كأن شيأ من الآداب لم ينزل من الله في حقه، وكان يصبر على الأذى الذي يقع له من غيره ولا يعتب ولا يشكو، كان يصبر ويطيب نفساً أن يقص من نفسه، فقد روى أبو داود في كتاب الأدب رقم الحديث ٥٢٢٤ عن أسيد بن حضير رجل من الأنصار قال: بينما يحدث القوم وكان فيه مزاح بينا يضحكهم فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في خاصرته بعود فقال: أصبرني فقال: اصطبر قال: إن عليك قميصاً وليس علي

---

[1] اقرأ أول سورة الحجرات.

www.abulhasanalinadwi.org

قميص، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه قال: إنما أردت هذا يا رسول الله" فهل وجدت أفضل وأطيب وأعجب من هذا؟ كيف رضي بالقصاص من غير أن يعتذر ويقول: اصفح عني فما أردت أن أوذيك. لا بل كشف عن ظهره.

ولقد توفي في حياته ابنه إبراهيم، وكان عليه الصلاة والسلام بشراً من البشر، يحزن كما يحزن الناس ويفرح كما يفرحون، فأثر هذا الحادث في قلبه وأثار حزنه وهاجه على البكاء، وصادف ذلك أن كسفت الشمس فقال بعض القوم: كسفت الشمس لموت إبراهيم، كانت القضية قضية العقيدة والإيمان فخرج فزعاً يجرثوبه حتى أتى المسجد فلم يزل يصلي حتى انجلت ثم خطب فقال مدوياً مجلجلاً: إن الناس يزعمون أن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء وليس كذلك، إنهما آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله[1].

فانظروا كيف غار على العقيدة وكيف حرص على الاحتفاظ بها وإبقاءها نقية صافية وهو في شدة الحزن والأسف،

---

[1] انظر: صحيح البخاري كتاب الكسوف رقم الحديث ١٠٤٣ وانظر فتح الباري.

www.abulhasanalinadwi.org

إلا أنه قد تملكته عاطفة الأبوة ففاضت عيناه وجعلتا تذرفان وقال كلمة رقيقة: إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[1]، هل رأيت مثالاً أفضل وأروع من ذلك يجمع بين الحزن الإنساني وعاطفة الأبوة الرقيقة وبين الرضا النبوي بما رضي به ربه والاستقامة الإيمانية.

ووقع مثل ذلك عندما توفي سبطه ابن ابنته زينب، أرسلت ابنته إليه: أن ابناً لي قبض فأتنا فأرسل يقرئ السلام ويقول: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شئ عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي، ونفسه تقعقع قال حسبته قال كأنه شن ففاضت عيناه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[2].

وخلاصة القول أنه يتجلى بالتأمل وإمعان النظر في

---

[1] رواه البخاري عن أنس بن مالك في الجنائز رقم ١٣٠٣.

[2] رواه البخاري في الجنائز رقم ١٢٨٤.

www.abulhasanalinadwi.org

السيرة الكريمة وفي مختلف وقائعها أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يتصف بالجمع بين المشاعر الإنسانية الرقيقة وبين مطالب الإيمان القوي والعقيدة الراسخة والمزج الجميل بين العواطف الطبيعية وبين الأخلاق النبوية التي لم يكن ليبعد عنها قيد شعرة.

وبجوار هذه الوقائع الحزينة هناك مناسبات للفرح والسرور والبهجة في الحياة الطيبة تتجلى فيها كذلك هذه الجامعية التي تعد من كبرى خصائص محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين صلى الله تعالى عليه وعليهم وسلم.

وبالجملة تحمل السيرة في طيها أمثلة نادرة ونماذج فريدة من هذا النمط، أودعها الله سبحانه وتعالى في حياة نبيه صلى الله عليه وسلم لكي نتبع فيها رسوله ما استطعنا، وننسج على منواله ونهتدي بهديه، فإن في حياته وشخصيته خير قدوة لنا، وإنها لميسورة سهلة بإذن الله للمؤمنين الصادقين، وقال الله تعالى في كلامه المجيد ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[سورة الأحزاب، الآية/٢١].

وصلى الله تعالى على محمد ألف ألف تحية وسلام وعلى آله وأزواجه وأصحابه وبارك وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

www.abulhasanalinadwi.org

ذكرى نورانية ومولد خير الإنسانية

حل الشهر المبارك شهر ربيع الأول وهو ربيع الزمن لكل عام، ربيع اختصبت فيه الإنسانية قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً عندما ولد الهدى والنور في بطحاء مكة في وادي إبراهيم بين جبال فاران، ذلك النور الذي بشر به موسى وعيسى ورسل الله قبلهما صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وثناء

ولد هذا الهدى والنور بين الأخشبين في مكة، وبزغت شمسه من جبل حراء، فأنارت التهامة والحجاز وكل بقعة قريبة وبعيدة، فما كانت إلا أيام قلائل حتى أصبحت بقاع واسعة من العالم المعاصر مستنيرة بهذا النور ومستضيئة بضوء هذا السراج، وامتلأ العالم عدلاً وهداية بعد أن كان ممتلئاً بالظلم والظلام،

www.abulhasanalinadwi.org

وسعدت الدنيا العامرة بالحياة والنعيم بعد أن كانت تمر منذ زمن غير قصير من خلال دياجير الفساد والدمار والكفر والظـــلام، وعرفت به الإنسانية بعد عهد طويل من جهل وعماية وفســـاد وغواية طرائق العز الإنساني والشـــرف البشـــري والفضيلـــة والسناء.

فحينما يأتي هذا الشهر الكريم شهر ربيع الأول من كـــل عام تعود ذكريات مولد هذا النور العظيـــم والهدايـــة الغـــراء، فالشهر بهذا منارة هدى ونور و ربيع للأجيال، والدهور، تقتبس الإنسانية منه كل عام إشارات نورانية وتقتبس منـــه بســـمات وأنواراً تستضيئ وتقوى بها فى طريقها إلى فلاحها وســـعادتها، فليس الشهر من عامة الشهور بل هو مهرجان ذكريات ســـعيدة مباركة كريمة تشعر فيه الإنسانية بالأفراح والمسرات والبهجـــة والنعيم ما دامت تملك في ضميرها وجداناً إنسانياً لطيفاً وشـعوراً ملائكياً رقيقاً وفهماً فاضلاً سديداً.

إنه شهر تلقى فيه الإنسان أعظم درس لصلاح حياتـــه ولفضيلته وخيره، ونالت فيه طبقاته المظلومة إنصافـــاً ورحمـــة، ورأت البشرية مولد أعظم بطل من أبنائها، كان بحياته وأخلاقـــه وسلوكه وتفانيه في سبيل خير الإنسان وإسعاده نموذجاً نـــادراً ومثالاً فاخراً ورحمة للعالمين جميعاً ومنـــارة للإشـــعاع الإنســـاني

www.abulhasanalinadwi.org

الخالد، وبسمة على ثغر التاريخ، ونوراً للبرايا والخلائق كلـــها، وسروراً للأرض والسماء، وصورة للخير والفضيلة، وعنـــوان عهد جديد للتاريخ الإنساني الذي عاش طويلاً في ظلم وظلام.

ليس شهر ربيع الأول باسم الربيع إلا عنواناً لكل هـــذه الخيرات الإنسانية لما اشتمل عليه من أحداث تاريخيـــة جبـــارة، أحداث كلها بمثابة عنوان لعهد وبدء لانقلاب.

فقد ولد فيه الأمن والإيمان بمولد الرسول الأفخم محمـــد ﷺ، وحدث للتاريخ الإنساني فيه تحول خطير لما هاجر الرســـول عليه السلام إلى المدينة فكان بذلك بداية للتاريخ الإنساني الماجد الشريف، ثم وقعت في نفس هذا الشهر وفاة الرسول الكريم التي أحالت مسئولية نشر الخير وإقامة العدل الجبارة إلى كواهل أمته، وجعلت بذلك كل أفراد أمته نواباً لنبيهم في هـــذه المســئولية الضخمة، فأصبح بذلك كل من حمل رسالته بكفـــاءة وصـــدق وأداها بأمانة وإخلاص، عملاقاً لا يساويه أي عملاق، وأصبـــح وسيلة لتحويل نجاح البشرية الضالة إلى شعوب مـــن الأبطـــال والعظماء، فكم من بلاد ارتفعت بعد الذلـــة، واهتـــدت بعـــد الضلال، وصلحت بعد الفساد، وكم قامت حضارة ومدنيـــة، وكم انتشر علم ومعرفة، وكم تقدمـــت شـــعوب وازدهـــرت أوطان، وكل ذلك بفضل ذلك النبراس العظيم الذي خرجـــت

www.abulhasanalinadwi.org

منه إشعاعات قوية وأنوار بهية، فأحالت الدنيا إلى نهار ساطع بعد أن كانت ليلاً دامساً.

هذه هي المعاني النيرة المضيئة التي يعطينا منها هذا الشهر الكريم درساً مؤثراً، عسى أن لا ننساه طيلة شهور العام الأخرى، ولعل اسم هذا الشهر أيضاً لا يخلو من ذلك البهاء الذي تشير إليه كلمته، وهو كونه ربيعاً ولا عجب في ذلك فإنه ربيع لا للخصوبة والنضارة النباتية المحدودة بل للخصوبة الإنسانية والنضارة المعنوية الكريمة العظيمة، وإنه لذكرى سنوية لكل ذلك في كل عام.

www.abulhasanalinadwi.org

سيرة الرسول ﷺ مصدر الهداية والنور

شهر ربيع الأول في كل عام، شهر الرسول عليه السلام، لأنه ولد فيه، وهاجر فيه، وتوفي فيه ﷺ، وإن وقوع هذه الأحداث الثلاثة الجليلة ليس مما يستهان به، ومما لا تعقد به أهمية، فإن الحوادث والظواهر والأمور كلها من الله تعالى، وأفعال الله تعالى لا تخلو من الحكمة، فشهر ربيع الأول شهر عظيم، لأنه يشتمل على ظواهر تاريخية جليلة، يمكن للدارس في حكمتها وأسرارها أن يستجلي ما يفتح الله عليه من حقائق، ويستنبط ما يسهل الله عليه استنباطه من المعاني، ولكن الذي لايخفى على أي منتم إلى رسول الله محمد ﷺ أن هذا الشهر شهر عظيم، وأن عظمته صادرة من انتسابه إلى ثلاثة أطراف أساسية من حياة الرسول الأعظم، الذي قال الله تعالى له ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الآية:١٠٧، سورة الأنبياء] وقال فيه

www.abulhasanalinadwi.org

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [الآية: ٢١، سورة الأحزاب]، وقال ﴿فلا وربك لا يؤمنون، حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ [الآية: ٦٥، سورة النساء]، وغيرها من الآيات التي ربط الله تعالى فيها خلقه برسوله الأعظم ﷺ ، فقد جعله رحمة للمخلوقات كلها، لا للبشر وحدهم، فقد قال تعالى "للعالمين" لا للمسلمين وحدهم، ولا لعالم الإنسان وحده، ثم جعل الإنسان مربوطاً به، حيث أمر باتخاذ الرسول عليه السلام أسوة وقدوة في جميع الأمور، وباتباعه في شئون الحياة، وجعل ذلك سيرة ومنهاجاً للحياة، لكل من يريد أن ينال الخير من الله تعالى، ويأمن سخطه وعذابه، ويرى أنه لا محالة مواجه للجزاء على أعماله في الحياة القادمة بعد هذه الحياة.

وأمر الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان المؤمن بخالقه و ربه، مرتبطاً برسوله الأعظم حتى في خصوماته ومشاجراته، فيتحاكم فيها إليه، ويقف عند رأيه وحكمه، ولا يخالج نفسه شك أو إعراض عنه.

إن هذا الشهر الكريم يذكرنا بالرسول الأكرم ﷺ وبضرورة اتباعه واتخاذه أسوة في الحياة، وبالتحاكم إليه في

www.abulhasanalinadwi.org

خصوماتنا ومشاجراتنا، وحيث إنه ﷺ غير موجود أمامنا فينوب عنه تعليماته وتوجيهاته وإرشاداته التي تحتفظ بها كتب السنة الموثوق بها، وقد قال ﷺ : إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه." [أورده مالك في الموطأ].

وكم تكون الحياة جميلة وسعيدة وآمنة إذا حكمتها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأسوته الكريمة، فإننا لا نجد من حياة الصالحين، سواء منهم الأنبياء والأبرار من أصحاب الصلاح والفضل، تراثاً يبلغ في سعته ووفرته ما نجده من تراث السيرة والأخلاق والتوجيهات من حياة الرسول عليه السلام، ثم إن حياته الكريمة قد بلغت من معاني الفضل والرحمة والبرّ ما لم تعرفه الإنسانية قبله، إنها جوانب متعددة وأنواع مختلفة وأطراف كثيرة: سلم وحرب، معاملات وأخلاق، سياسة وتربية، حكم وقضاء، خفة روح و رزانة عقل، تواضع ومخالطة، جد وصرامة، رقة وعزيمة، وما إلى ذلك من أطراف وجوانب، يصعب استيعابها، فقد كان أسوة للصديق في صداقته، ولذى رحم في رحمه، وللحاكم في حكمه، وللمظلوم نحو الظلم الذي هو فيه، و للأخ في أخوته، وللوالد في أبوته، و للزوج نحو زوجته، وللأنواع الأخرى من أصناف الناس في نوعياتهم المختلفة، ونجد في كل ذلك تراثاً من الآداب والأخلاق يسهل لنا الرجوع إليها

www.abulhasanalinadwi.org

للاتباع والتقليد.

ولا يبقى بعد كل ذلك إلا أن نقوم بطلب معرفتها بحسب حاجاتنا وأحوالنا، وشئوون حياتنا، ونقوم باتباعها والتأسي بها.

ونحن لو أدينا هذا الواجب لأصلحنا حياتنا، وزيناها بالخير والسعادة والجمال، والبيئة التي تسرى فيها هذه الخصال تصبح بيئة من أصلح البيئات، وأكرمها وأحسنها سلاماً و وئاماً، ورزانة وقوة، ولكن الناس لا يهتمون بممارسة هذه التجربة الإنسانية العظيمة التي مارسها الإنسان قبل أربعة عشر قرناً لأول مرة، فكانت أروع تجربة إنسانية اعترف بخيرها وروعتها المؤرخون والدارسون على اختلاف أديانهم وأجناسهم، ولا تزال قصصها الرائعة قوة ومدداً للمسلمين في حل قضاياهم ومشاكلهم، فليتهم رجعوا إلى ممارسة هذه التجربة مرة أخرى، فأهلاً بشهر ربيع الأول الذي يذكرنا بذلك في كل عام.

www.abulhasanalinadwi.org

مولد الرسول صلى الله عليه وسلم فجر جديد للإنسانية

لقد حل ربيع الأول، فعهده قديم ولكن إيحاءه لنفس المؤمن جديد، إنه يحمل في طيه رسالة وتذكيراً يسمع صوته قلب المسلم.

يحمل ربيع الأول إشارات بليغة، منها إشارة مسرة وابتهاج بميلاد رسول هذه الأمة العظيمة الخالدة، التي لها في ميزان التاريخ ثقل ليس لغيرها على مدى التاريخ الإنساني، ومنها إشارة ذكر واتعاظ بهجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، ومنها ظهر منهج اجتماعي جديد في حياة العرب المسلمين وغيرهم في العالم، لقد كان ميلاد الرسول ﷺ فجراً جديداً لليل مظلم حالك، كان العالم يتسكع فيه في الظلام الحالك، ويحن لفجر السعادة والهداية، وقد صور رسول الله عليه الصلاة والسلام الحالة الإنسانية الفاسدة في ذلك العهد بقوله ﷺ:

www.abulhasanalinadwi.org

"إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا أهل الكتاب." [رواه الإمام أحمد في مسنده].

فلما بلغت الإنسانية إلى هذا الحد البعيد من الضلال والانحراف استحقت مقت الله بصورة شاملة، عربها و عجمها، وحينئذ أرسل الله تعالى نبيه الأخير الذي دعا إلى الصلاح والفلاح، وأخرج الإنسانية من الظلام إلى النور، فصار ربيع الأول ربيعاً للإنسانية ويوم ميلاد جديد لها، ولكن هذه المسرة التي يبعث عليها ربيع الأول ليست مجرد مسرة، بل إنها مزدوجة بالحذر، فهو حينما يبعث على الابتهاج لا يبعث عليه وحده، بل يبعث أيضاً على التذكر والانتباه إلى أن الانسان قد يبلغ في ضلاله إلى درجة مقت الله، وهي درجة يجب على كل مسلم أن يخافها ويحذر الاقتراب منها، فإنه ليس بعد هذه الدرجة إلا العودة إلى الله أو الاستحقاق لعذابه، وقد سبق عذابه لأمم عديدة لم تعد إلى الحق في التاريخ البشري، فأبيدت من الوجود مثل عاد و ثمود وقرون بين ذلك، فيجب أن نحذر ونتعظ فإننا عند ما ننظر إلى حالة العالم الإسلامي اليوم، نجد أنها بلغت في ضلالها وانحرافها عن جادة الحق إلى درجة شبيهة بالحالة الجاهلية قبل ظهور الإسلام، من تكالب الناس على الدنيا وتداعيهم على الشهوات، وإيثار الأهواء والأغراض على حب الخير ومكارم

www.abulhasanalinadwi.org

الأعمال، فالدول الكبيرة تتعادى فيما بينها كما كانت تتعادى الدولتان الرومية والفارسية في العهد الجاهلي، ويتسابق الأغنياء وأصحاب المال اليوم في الرفاهية والرغد في العيش، كما كانوا يتسابقون في ذلك العهد الجاهلي القديم، وتدل على ذلك نظرة على المجتمعات الرومية والفارسية، فإننا نجد لها أمثلة واضحة في مجتمعات الدول الغنية اليوم في نفس المنطقة، ونجد تناكراً للحق و رفضاً للهدى والحق، ومادية عنيفة في الأعمال والأحوال وأوضاع الحياة، بحيث يذكر ذلك بأحوال الجاهلية القديمة.

فهذه حالة تفتقر إلى ظهور جديد لمعنى ربيع الأول القديم، ليخرج العالم من الظلام إلى النور ومن الانحراف إلى الرشاد، ومن الفساد إلى الصلاح.

إن حلول شهر ربيع الأول يذكرنا بذلك، وينبهنا إلى أن حاجتنا هي أن نقوم بتغيير الوضع بالخروج من الشر إلى الخير، ومن الأهواء السافلة إلى مكارم الأخلاق، ومن الكفر والفسوق إلى الإيمان والتقوى، وإذا فعلنا ذلك فإن الله سبحانه وتعالى سيجزينا على ذلك بخروجنا من حياة الذل إلى حياة القوة، ولكن لايمكن أن يتحقق ذلك إلا باختيار المنهج الذي سار عليه خاتم الرسل سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، إنه يجب ترك الأهواء الخسيسة والتجرد عن الأنانيات الفردية، والتضحية بالراحة الدنيوية الزائلة في الحياة الفردية المحدودة، والهجرة عن الشر إلى الخير.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

أسوة كاملة خالدة للإنسانية

شهد التاريخ الإنساني في محمد صلى الله عليه وسلم شخصية لم يعهد مثلها من قبل، في حين كانت القوى البشرية الهدامة تعبث بالكنوز البشرية، وتستغلها كالوقود لخدمة مطامعها، و تغيرت بها معايير الإنسانية، وسادت الأرض الفوضوية والهمجية، وانهزمت النفس الإنسانية أمام الشهوات والأهواء، وفقد الضمير البشرى حيويته في صدر الإنسان، ولم يكن للحق صوت يدوي، وللهدى أمل يرجى، يأكل القوي الضعيف ولا يترحم عليه ، ويزدرد الغني الفقير ولا يرثي له، حقاً أن التاريخ قد عهد أعظم شخصية إنسانية ، شهد بطلاً لا يعادله بطل، ومحباً للإنسانية رؤفاً بها، سحر النفوس" من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم ".

كانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تتسم بجانب

www.abulhasanalinadwi.org

كبير من اللين، ترى الرفق يتجلى في حياته كلها، كان يواجه كل أحد صرفاً للنظر عما إذا كان الرجل صديقاً حانياً له أو عدواً جانياً، كان أعداؤه يخرجون لقتله ويرجعون وفي قلوبهم محبة له، وشوق إلي حديثه، وإيثار له على أنفسهم ، و عاطفة لتحمل كل ما يصيبهم من المصائب والبلايا في سبيله، مسحورين مأخوذين من السحر الحلال، والرحمة البالغة الأثر، لم يكن يجزي عدوه بمثل ما يعمله ولا بأقل من ذلك، بل كان يعفو عنه ويستغفر له ويقول:{اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون} إن كل ما ناله في الطائف يكفي مثالاً لحلمه وصبره، تصور المعاملة القاسية التي لاقاها من قريش، وما بادلته من القسوة والجفاء، وأضف إليها المجابهة التي تلقاها، والرد العنيف الذي صادفه، والجو المكفهر الذي واجهه، والذكريات العابثة المتقطبة من مكة ماثلة بعينه، تصور كل هذا وانظر إلى تجاوب مشاعر هذه النفس العظيمة لكل ذاك، فقد أبى أن يعذب أهل الطائف جزاء لمعاملتهم الشنيعة وصدهم العنيف عن الدين الإسلامي، و في أحد لما كسرت رباعيته فلم تتحرك شفتاه إلا ليقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، و يوم الفتح إذ انتشر الإسلام وكانت له الكلمة العليا، وصارت مكة تحت رعايته فكان في استطاعته أن يعامل أعداءه المسجونين المفتوحين، ويستعمل العنف والشدة

www.abulhasanalinadwi.org

ضد المردة الذين بذلوا كل ما كان في وسعهم فى خلق التعويقات والصعوبات في سبيل انتشار الدين الإسلامي، فلم يصدر من محكمة النبوة أي حكم ضدهم إلاّ "اذهبوا فأنتم الطلقاء" إن التاريخ لم يعهد مثل هذا القضاء إلا في عهد سيدنا يوسف عليه السلام حين التقى بوالديه وإخوانه بعد مدة طويلة مملة فقال لإخوته وهم الذين كانوا ألقوه في غيابة الجب، وأتوا إلي أبيهم بدم كذب، فلم يقل لهم يوسف عليه السلام شيئاً إلا ﴿لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين﴾ [الآية: ٩٢، سورة يوسف] إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجف أحداً لنفسه، ولم يظلمه في حياته، وفيه يقول القرآن : ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [الآية: ١٥٩، سورة آل عمران] ويقول ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم،عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم،بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [الآية: ١٢٨، سورة التوبة] كان يصفح عمن يؤذيه، ولا يعاقب أحداً ولا يأخذه إلاّ إذا تعدى الحق فإذن لم يكن يقوم لغضبه شئ، حتى أن الصعاليك كانوا يدفعونه إلى السمرة فلم يكن يقول لهم إلا قولاً كريماً، لم يضرب خادماً ولا عبداً قط ولم ينهر ، كان حديثه حديث علم وحياء ومحبة وإخاء ، يقوم ويجلس على ذكر، يؤلف الناس ولا ينفرهم، ويلقي في قلوبهم المحبة والصداقة والعطف، كان أصحابه بسبب

www.abulhasanalinadwi.org

محبته و عطفه يؤثرونه على آبائهم ولا يتحملون مهاجرته.

بهذه الحياة السليمة الرحيمة القوية ظهر النبي الأمي بين الناس حاملاً مشعل النور وعلم الهدى، ينادي بحقوق الإنسان، وهو الذي أذن في الناس "كلكم من آدم و آدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلاّ بالتقوى" [كنز العمال] وأبلغهم قول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الآية: ١٣، سورة الحجرات].

ظهر في أحط بقاع الأرض خلقياً وعقلياً واعتقادياً، فناضل أشد نضال، وكافح أشد كفاح ضد فوضى البشرية، فكانت دعوته عامة للبشرية جمعاء، فاسترد لها سؤددها، وكفل للإنسانية كرامتها، وأنشأ جيلاً حديثاً فاضلاً انتشر في العالم، وناشد النظمَ الجارية، وحفظ للإنسانية حقوقها.

كان كل صحابي من أصحابه مثالاً كاملاً لنبيهم الكريم، توفى محمد صلى الله عليه وسلم، فقام خليفته ورفيقه في الغار سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يتكفل تدعيم بنائه وتخليد ذكراه مستعيناً بالله، وخلفه سيدنا عمر بن الخطاب فأقام العدل واستقام به أمر المسلمين، وسادت هيبتهم على الأعداء رغم تقشفه وزهده ، وخير مثال عليه قصة دخوله في القدس، فلم يدخل كفاتح وإنما دخل كعبد متضرع خاشع لله، وإيمانه أن

www.abulhasanalinadwi.org

الله أعزه بالإسلام ، ولا عزة إلاّ بالإسلام ، وكان كل صحابي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثالاً كما جاء في الحديث الشريف: "أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم" [رواه البيهقي] وذلك دليل أكبر على كمال تربيته و سحر قوته فى صنع الرجال، فلم يزل الإسلام يتقدم حتى سطع نوره في جميع أنحاء العالم، وبلغت أشعته إلى كل بقعة من بقاع الأرض، فبلغت دعوة الإسلام إلى جميع أنحاء العالم و هي استسلام للخالق الذي خلق الأرض والسماوات، وصور الخلق في أحسن صورة، وفضل الإنسان على المخلوقات الأخرى، وسخر له الشمس والقمر والدواب،و وهبه من نوره ما يهتدي به في الظلمات، وانتشر أصحابه حاملين للرسالة الإسلامية ديناً ومنهجاً للحياة، يقتدى بهم ويهتدى بهم .

إن أعظم شئ يمتاز به الإسلام ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم هو أن دعوته تعم جميع مقتضيات الحياة البشرية، فكما تعالج العبادة والرجوع إلى الله توحد ما في جميع الأديان من خير، و تمجد الأنبياء، وتجمع متبعي الأديان المختلفة على رصيف واحد، وتجعلهم فئة متألفة واحدة، فإن دعوته تعالج مشاكل أخرى تتعلق بأية ناحية من الحياة، وهي الدعوة الوحيدة التي لا تميّز بين الزهد وتزكية النفس ، وبين الرقي المادي والانتفاع بنعم

www.abulhasanalinadwi.org

الله على الأرض.

إن مناسبة المولد النبوي مناسبة لتجديد العهد للتمسك بتعليم هذا النبي العظيم، وتطبيقه في الحياة، وتنقية الحياة من كل شائبة و نقص لا يطابق مع سيرة هذا القائد العظيم الذي وصفه القرآن برحمة العالمين.

www.abulhasanalinadwi.org

حالة الإنسانية قبل البعثة المحمدية

إن شهر ربيع الأول هذا شهر ربيع، وإنه تذكار شرف للإنسان لنيله للكرامة الإنسانية التي كان فقدها، وتاه عنها، فقد جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن حال البشرية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم:

"إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا أهل الكتاب" [رواه الإمام أحمد في مسنده] وكان من رحمة الله وفضله على البشرية أنها لما فسدت فساداً واسعاً، وتاهت عن كرامة الإنسانية متاهة بعيدة، ووصل الإنسان إلى الدرك الأسفل الذي تعيش فيه البهيمة الهاملة أو الوحوش الضارية بحيث أنه إن نال درجة الملوك استعبد الرعية استعباداً أكثر من استعباده للبهيمة، فكان يستخدم أفرادها لأغراضه، ويسخرهم لمآربه، ويأخذ من جهودهم وعملهم شيئاً كثيراً ولا يعطيهم على ذلك إلا أجراً زهيداً، بل كان يسخر كثيراً منهم لحاجته دون

www.abulhasanalinadwi.org

أجر،انظروا إلى الأهرام المصرية، كيف بنيت وأقيمت، انظروا كيف كان يعامل العبيد في ذلك الزمان، وهم الذين كان يقبض عليهم في الحروب أو على غرة منهم في الفلوات والغابات معاملة أقسى وأشد مما يعامل الإنسان الحيوان الأعجم، وانظروا كيف كان الملوك والأمراء يأتون بالمعتقلين إلى محافل مآدبهم وولائمهم الفخمة، ويشعلون فيهم ناراً ليحترق أحدهم ويقفز ويثب ألماً، ويتناول الضيوف الكرماء طعامهم في ضوء نار احتراقه، فيكون نزهة لهم ومتعة خلال تناولهم للطعام.

كانوا يعاملون النساء كأدوات المترل، يخدمن رجالهن خدمة صامتة، أو كأداة لهو ولذة يتمتعون بهن حسبما يشتهون، ولم يكن لديهم ولديهن معنى لكلمات العفة والحياء والعرض المصون، وذلك إذا نجون من الوأد، وكان الناس يكسبون المال بأي وسيلة سنحت لهم، بالسطو على مال الآخرين بغير رضاهم، أو بقطع الطريق، أو بابتزاز أموال الدولة، أو بالسرقة، أو بطريق صحيح نزيه، وهذا الأخير يكون نادراً.

وكانوا يتسكعون في طقوس دينية شوهاء، ويخضعون لتصورات وأوهام عقائدية حمقاء، يعبدون الشمس والقمر والكواكب والحجر والشجر والنهر والحيوانات، حتى حشرات الأرض، ويظنون أنها تنفع وتضر، وبذلك كانوا يرون أنه لا بد

www.abulhasanalinadwi.org

من تعظيم وتقديس لها، حتى يكونوا في مأمن من ضررها، حتى الأديان السماوية فإنها تاهت وابتعدت عن جادة حقها كذلك، أما النصارى فقد جعلوا إلههم الواحد ثلاثة آلهة باتخاذهم زوجاً له وولداً، ورفع اليهود مكانة بعض أنبيائهم الذين كانوا من آبائهم إلى ما يقارب الألوهية وبذلك تصوروا لأنفسهم درجة الأولاد للإله، فقالوا نحن أبناء الله وأحباءه، وقرروا لأنفسهم درجة فوق عامة البشر، وظنوا أنهم بشر أعلى، وأن غيرهم أمامهم كالبهائم، لا حرمة لنفوسهم ولأموالهم أمام البشر الأعلى.

وجاء خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم فأبطل كل هذه الانحرافات والضلالات وأحوال السقوط والفساد والظلم، ونادى بالحق، ودل على الحق وقام بتنفيذ الحق، وقاوم في ذلك العداوة من معارضيه ومخاصميه، وواجه منهم الاضطهاد والظلم ولكنه صبر وثبت، ولم يترك دعوته لإقرار الحق، وحارب الضلال والفساد، وعلم الإنسان كيف يكون أمام خالقه، وكيف يكون أمام أبويه، وكيف يكون أمام جيرانه، وكيف يكون أمام أقاربه وأصدقائه، وكيف يكون إنساناً ملاطفاً مع صغاره وخدمه وعبيده، وأنه لا فضل له على غيره من بنى جنسه، فكل إنسان مساو لإنسان آخر، كلهم من آدم، وآدم من تراب. لا فضل

www.abulhasanalinadwi.org

لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على اسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، وأنه أفضل من البهائم والحيوانات، وليس بعضه أفضل من بعض، وأنه يجب عليه أن يكون رحيما كريما للحيوانات كذلك، لقد بذل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم سعيه المخلص النبيل نحوا من ربع قرن حتى استطاع أن يبني مجتمعا من أخاير الناس وأحاسنهم سيرة وعقيدة ونظرا إلى الحياة، أصبح بعده هذا المجتمع الإنساني الفاضل حاملا للصلاح والهداية، وأصبح أفراده دعاة لفضائل الإنسانية، وبذلك أعاد الرسول العظيم محمد صلى الله عليه وسلم الإنسانية إلى مكانتها من الشرف والكرامة وإلى السلامة والأمن، وإلى الصفاء والطهر، وإلى الجمال والكمال، في السيرة والسلوك والأخلاق، فكان ذلك كميلاد جديد للعالم الإنساني الفاضل، ولركب الإنسانية السائر إلى صالح الإنسان وخلائق هذا العالم، وذلك بميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحمله لرسالة الإنسانية، إنه ولد في ربيع الأول، وهاجر في ربيع الأول،وكانت هجرته مبدأ تنظيم المجتمع الإنساني على أحسن منهج إنساني للحياة، وفي ربيع الأول توفي صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً، فشهر ربيع الأول علامة كبيرة لنهضة الإنسان الفاضلة في تاريخ العالم، وواسطة عقد الزمان، يأتي في كل عام، وما أحسن

www.abulhasanalinadwi.org

قول الشاعر العربي شوقي في ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ميلاد للهدى ومبعث للنور في حياة الإنسان يقول:

ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفـــم الزمان تبسم وثناء

فتبسموا أيها الناس! فهذا هو الشهر الذي ولد فيـــه الهـــدى، واستنارت به الكائنات، وتبسم فيه الزمان، وأثنى علـــى هـــذا الرجل العظيم محمد المصطفى خير خليفة الله وخاتم رسله صلـــى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

من التفاوت والتمييز إلى العدل والمساواة

إن شهر ربيع الأول هو في واقع أمره ربيع شهور السنة كلها، وذلك بما امتاز به من عطاء و إغاثة للإنسانية بميلاد شخصية فذة في التاريخ الإنساني كله، شخصية أعادت إلى الإنسانية كرامتها المسلوبة، وانتشلتها من حضيض التفسخ والذلة، هي شخصية خاتم الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم محبوب رب العالمين الذي ختم به رسالات السماء إلى الأرض، وأكمل به دينه الذي شرعه للبشرية، وأتم به نعمته على الإنسانية.

لقد كانت الإنسانية قبل هذا الرسول العظيم محمد بن عبد الله الأمين في فوضى شديدة للأخلاق وقهر وإذلال للفقراء والمستضعفين في الأرض رغم ما كان من تقدم للمدنية، وبلوغ الإنسانية في العلم والمعارف البشرية إلى الكمال، ورغم ما كان أحرزه الإنسان من رغد في العيش، وقوة وعتاد للحياة، فقد

www.abulhasanalinadwi.org

كان كسرى لا يرتاح إلا باستخدام آلاف الطهاة لطعامه وآلاف الخادمين لخدمته، وكان يصبر على العطش، ولا يحتمل الشرب في أواني الخزف أو المعادن الرخيصة، ولم يكن يلبس تاجاً إلا بقيمة تبلغ إلى المستوى الخيالي، ولم يكن وحده في هذا الرغد وعظيم الترف، بل كان قواده وأمراءه وأثرياء مملكته أيضاً على هذا الطور من الحياة من أكل لذيذ وعيش رغيد، ولبس لأغلى الملابس والتظاهر بالأبهة والشوكة، وبجانب آخر كانت كفة أخرى لميزان مستوى الحياة طائشة، فقد كان عامة البشر في جهد مضن وفقر مدقع وحرمان وعذاب، يعملون كالبهائم، ويعيشون كالسوام، ويواجهون القمع والبطش والتعذيب على أدنى تكاسل في خدمة الأثرياء، ولم يكن ذلك في المملكة الكسروية فحسب، بل كان مثله في المملكة القيصرية كذلك، لقد كان أثرياءها وأمراءها يحرقون الأسرى والعبيد في مآدبهم الكبيرة، ليتمتع الضيوف بالتفرج على اشتعال النيران في الجسد الإنساني المتحرق، وأنه كيف يتململ ويتلوى ألماً من تأثير لظاها وأوارها، وكان الضيوف المترفون يضحكون ويفرحون من هذه التزهة الحمراء الدامية، لقد قامت مدنيات زاهرة مزركشة بفنونها وأهواءها في التاريخ الإنساني ولكن زركشتها هذه كانت تحصل من ألوان دماء الفقراء والمستضعفين، ولقد نبغ في هذه

www.abulhasanalinadwi.org

الأدوار الراقية عقلاء وفلاسفة صغار وكبار، ولكنهم كانوا يرضون بكل ذلك فيبقون صامتين أو ساهين، مشتغلين بفلسفاتهم وآرائهم، ونظر رب العالمين نظرة إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب (كما ورد في الحديث النبوي الشريف) ولكن هؤلاء البقايا من أهل الكتاب وصلوا أخيراً إلي آخر درجات النقص والتضاءل، فجاشت رحمة الله على عباده البائسين بالشقاء والعذاب، وأرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم في العرب وهم غير أهل الكتاب، وبذلك نقل مسئولية الرسالة منهم إلى غيرهم، فقد كان أهل الكتاب قد بالغوا في إضاعة مسئوليتهم وإهدار كرامتها، فقد كانت تقع عليهم مسئولية الإصلاح، ولكنهم تهاونوا فيها، وأضاعوها، فنقل الله المسئولية إلى أمة كانت أمية فضلاً عن أن تكون حاملة لكتاب الله عز وجل، وبعث رسوله فيها وأعطاه الكتاب الأخير العظيم الذي حمل تعليمات الدين في أكمل صوره، فهو هدى ونور، وهو كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،تنزيل من حكيم حميد، وهو الذكر الحكيم، والقرآن الكريم والفرقان الحميد الذي حمل ميزة وكمالاً لم يعهده أي كتاب سماوي قبله، وهو قول الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [الآية: ٣، المائدة].

www.abulhasanalinadwi.org

ونقرأ القرآن فنجد فيه هداية لكل جوانب الحياة، وتسديدا وتقويما لكافة الآراء والأخلاق، فهو دستور جامع للحياة، وهداية كاملة للأخلاق وتصحيح بليغ لمسار حياة الإنسانية، فهو رحمة للبشرية جمعاء، ما وراءها رحمة، وأنزله الله تعالى على خاتم رسله ليكون نبراسا للإنسانية إلى يوم القيامة، لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الأمة العربية أولا، وكان قد ولد ونشأ فيها، وكانت هذه الأمة على أفسد طور من أطوار الحياة، يعبدون الأصنام، ويأكلون الميتة، ويئدون البنات، ويتقاتلون فيما بينهم لأدنى أحوال الأنفة والحمية وأخف دواعي الغيرة والكبرياء، فجاءت معجزة من أعظم المعجزات أن أنشأ رسول رب العالمين من هذه الأمة الفاسدة التائهة أمة من أصلح الأمم في التاريخ الإنساني، وأقواها همة وأعظمها وحدة، وأشدها شكيمة وصمودا أمام الفساد والطغيان فغير بها في نصف قرن وجه التاريخ الإنساني، وملأ بتعاليمه السمحاء نفوس الناس وقلوبهم بروح المساواة والمؤاساة والبر والإحسان، وظهرت أمثلة من العفاف والزهد في زخارف الحيا ة من إيثار خير الحياة الآجلة على راحة الحياة العاجلة، ففي الوقت الذي كان رجل الدنيا يلبس قلنسوة يبلغ ثمنها إلى أقصى حدود الإسراف والبذخ كان الرجل الذي آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم يحمل تاج كسري

www.abulhasanalinadwi.org

المحلى بالذهب واللآلي الثمينة تحت ذيل قميصه، ويوصله بكل أمانة وزهد إلى أمير المؤمنين،ويخفى حتى اسمه ويستر عمله بالصمت والإخفاء، وفي الوقت الذي كان أمراء المدنيات الكافرة يحرقون عبيدهم وأسراهم ليتمتع ضيوفهم بمنظر احتراق الإنسان الحي بقلوبهم الحجرية الهامدة، كان الأمراء التابعون لمحمد صلى الله عليه وسلم يساوون بينهم وبين عبيدهم إلى الحد الأقصى، حتى شهد التاريخ الإسلامي مراراً أن العبيد المسلمين وصلوا إلى الحكم والسلطان، آمرين وناهين لشعوبهم وفيها أبناء أسيادهم الذين لم يستنكروا ذلك ولم يعدوه إلا عملاً سياسياً لا عمل إهدار كرامة، لأن الإسلام يساوي بين الإنسان والإنسان رغم اختلاف الألوان والسلالات، واختلاف حالة الفقر والغنى، فقد نادى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته الأخيرة،وذلك في حجة الوداع بقوله "كلكم من آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي علي عربي، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى" [رواه الإمام أحمد في مسنده] وأوصى لدى وفاته بالإحسان بالأرقاء والعبيد و بالنساء لأنهن ضعيفات بالنسبة إلى الرجال، في الوقت الذي كان الرجال في أمم أخرى ولا يزالون فيها يستضعفون النساء ويكلفونهن بالأعمال الثقيلة، ويستخدمونهنّ لمآرب ترفهم

www.abulhasanalinadwi.org

ومتعهم، ويبخسون حقوقهن الإنسانية، ويخدعونهن بالإغراءات الكاذبة، وينعتونهن بالنعوت المستهوية الخادعة، ويستعملونهن كالبضاعة وأدوات ترف ومتعة، و جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعاد إليهن حقوقهن، ورفعهن من حضيض الحمأة والرذيلة، فقد أعطاهن حق القبول والرفض في الزواج، وحق طلب الطلاق من زوجها، وإذا لم يرض فمن السلطة الشرعية، وصان كرامتهن بالعفاف والحجاب، وأوجب أن يكون مستوى معيشتهن من أكل ولباس ومباشرة نفس مستوى أزواجهن، وعلى أزواجهن التكفل لنفقاتهن، وأثبت لهن الحق في نيل تراث الأبوين والأقارب، وساواهن مع الرجال في مجالات عامة من الحياة، لقد أعطى الإسلام المرأة الحق في الانفصال عن زوجها إذا وجدت بقاءها معه غير قابل للاحتمال، وذلك بالعكس مما في الأديان الأخرى التي تصبح فيها المرأة بعد أن تدخل في زواج رجل مثل الرقيق الذي لا يستطيع الخروج من ملكه، فلا تملك حيلة للانفصال، ولقد قام بعض الأديان أخيراً بشئ من التعديل في ذلك، و أوسع الأمر للانفصال بين الزوجين، وذلك تأسياً بما رأوه في الإسلام، هذه حالة المرأة مع زوجها، أما في بيت والديها فلا تكون فيه أيضاً في حالة مشرفة لأنها تكون ملزمة بخدمة إخوتها، وتنال كرامة أقل منهم، ثم إنها لا تساهم إخوتها في

www.abulhasanalinadwi.org

الاستفادة بحقوقها مثلهم، وحصول الميراث من أبويها، ولكن الشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم أعطت المرأة كل حقها في تقرير أمورها حسب مصالحها الدينية والدنيوية، ونيل حقها في مال والديها، بل وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصول الأجر والثواب على رعاية البنت أكثر من رعاية الابن، وبذلك زاد من أهميتهن على أهمية إخوتهن.

إن أعظم عطاء جاء به الإسلام إلى أتباعه هو الجمع بين الدين والدنيا بالعكس مما عرفه الناس في الأديان الأخرى التي لا تعتني إلا بأمور العبادة فحسب، فإن الإسلام في هذه الأديان يكون في داخل بيته حرا لدنياه، ويكون دينه منحصرا في مكان عبادته، ولكن الإسلام جمع الدين مع الدنيا، فالدعاء الذي علمه القرآن أتباعه فهو: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار﴾ وقال الله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الآية: ٣٢، سورة الأعراف] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إن لنفسك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، فأعط كل ذى حق حقه" [رواه البخاري] وأعلن بالحصول على الأجر في الآخرة إذا تلطف الزوج مع زوجته، وكذلك إذا قام بتهيئة أسباب الراحة والعطف لأولاده.

www.abulhasanalinadwi.org

على كل حال، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بدين من ربه يعترف بحاجة الإنسان في دنياه، ويأمره بالعمل بها، لينال بذلك الجنة في الآخرة، إنه يعلمه حينما يدخل في المسجد أن يدعو الله لنيل الثواب والأجر في الآخرة، وحينما يخرج من المسجد فعليه أن يدعو بالحصول على خير الدنيا كذلك وما ينفعه فيها، وبذلك كله كانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة للبشرية جمعاء بعد أن كانت البشرية تعاني من ظلم المترفين والأثرياء، والذين ألزموا الناس بطقوس ظالمة وعادات مرهقة وتقاليد مجحفة باسم المدنية والحضارة.

إن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرت مجرى حياتهم، وجعلت آدابها سهلة ميسورة لهم، فكانت نعمة للفقراء والمستضعفين لأنها سهلت لهم طرق الحياة، ويسرت لهم القيام بالعمل، وكانت نعمة للمرأة بتحريرها من أغلال رقها لزوجها، ومن كونها مكروهة لدى أبويها وأقاربها. ومن كونها سلعة رخيصة في سوق الجنس وأداة انتفاع للرجال، إن الإسلام قرر للمرأة الكرامة، والشرف مثل الرجال، لقد كانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة عالية خالدة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعاليمه الكريمة وتربيته السمحاء رحمة للعالمين كما أخبره الله رب العالمين، في كتابه الحميد وقرآنه المجيد

www.abulhasanalinadwi.org

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الآية: ١٠٧، الأنبياء].

فكلما يأتي شهر ربيع الأول الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهاجر فيه من مكة إلى المدينة ليقوم هناك بهداية الإنسانية، ولتقرير أحكام الدين والدنيا وآداب الحياة التي تحرر الإنسان من الشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة، فكلما يأتي هذا الشهر في كل سنة يملأ الأجواء بمسرات ونفحات ونعم وبركات، فتستنير الأرض والسماء، ويعم إشعاع الخير والنور، وما أصدق الشاعر العربي شوقي حين يقول:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

وحدة المسلمين وتضامنهم وتكاتفهم في أمور الدين والدنيا

حل شهر ربيع الأول، وهو ربيع الشهور، وربيع النور لانتسابه إلى ميلاد الرسول الكريم، خاتم المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وميلاد الرسول العظيم، خاتم النبيين، هو ميلاد كرامة الإنسانية من جديد بعد ضعفها وتضاؤلها من العالم.

وأحبت أمة محمد صلى الله عليه وسلم نبيها آخر رسل الله في هذه الأرض، وازداد حبها له قوةً ودواماً حتى أصبحت الأمة الإسلامية ممتازة بحبها لنبيها بصورة لا نجد مثيلها في أمة أخرى، ودام هذا الحب مستمراً في القرون الماضية من التاريخ الإسلامي، وأصبح سبباً لقوة صلتها بدينها، ولإيجاد الوحدة والترابط بين أبناءها، ولغرس الحب والتبادل والتضامن بينهم في آمالهم وآلامهم في شؤونهم المشتركة فيهم وللتعاطف بينهم.

وقد بلغ ذلك إلى الحد الذي يصدق فيه إلى حد كبير

www.abulhasanalinadwi.org

قول رسول صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" [متفق عليه]، هذه ميزة هامة لأبناء الأمة الإسلامية، ميزة حبهم المخلص الممتاز لرسولهم الكريم محمد ابن عبد ا لله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أكمل الله عليه دينه وأتم به نعمته، وبه انقطعت حاجة الناس إلى ظهور نبي جديد أو إلى تغيير في الشريعة والدين، أو تجديد له لموافقة الأحوال الطارئة والمطالب الحديثة، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز الذي هو كتاب مهيمن على الكتب السماوية السابقة كلها ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [الآية: ٣، سورة المائدة] وبذلك تعين انتماء المؤمنين في دينهم إلى نبي واحد، ونبوته مستمرة إلى يوم القيامة، كما كان قد تعين انتماءهم في العبودية إلى رب واحد وهو الله جل وعلا، وأما انتماءهم في النسب فهو إلى جد واحد وهو آدم عليه السلام، فالأمة كلها تجتمع في هذه الجوانب الثلاثة المهمة على خط واحد وهو خط الإسلام دين الحنيفية الغراء فكرة وثقافة وديناً، إن المسلم في أقصى الشرق يشعر بالوحدة والأخوة بمسلم آخر في أقصى الغرب، وكذلك المسلم في أقصى الغرب يشعر بالوحدة والتضامن مع المسلم في أقصى

www.abulhasanalinadwi.org

الشرق، ولو لقيه لأول مرة، وهذه صفة لا نجدها في غير المسلمين بهذه الدرجة القوية، فإن اختلافاً في غير المسلمين في أمر الوطن يجعل وحدتهم متفرقة، وكذلك اختلافهم في السلالة واللون يقسمهم في وحدات متباينة، أما اختلافهم في اللغة والثقافة فيجعلهم متفرقين ومتباعدين فيما بينهم، ولكن المسلمين إنما تجتمع نفوسهم على الوحدة والترابط فيما بينهم بناءاً على وحدتهم وتضامنهم فيما بينهم من جهة دينهم ونبيهم وكتابهم الإلهي العظيم، وشعورهم القوي بوحدة جدهم الأول، أما اختلافات غير المسلمين فيما بينهم فهي اختلافات تؤثر عليهم عملياً، وتفرقهم على الأوطان والجنسيات والطبقات اختلافاً واقعياً.

وإن وحدة المسلمين وتضامنهم فيما بينهم هو رمز بقاء المسلمين على دينهم، وجمعهم لأطرافهم وأنواعهم في مدار واحد، ورمز لتآخيهم وتضامنهم فيما بينهم رغم اختلافهم في اللون والوطن والثقافة، ويزيدهم قوة في ذلك حبهم البالغ لنبيهم صلى الله عليه وسلم، لأنه هو النبي الذي عمت نبوته على أنحاء العالم كلها رغم اختلاف البقاع والأصقاع، وهي نبوة دائمة باقية إلى يوم القيامة.

ولكن هذا العهد الأخير الذي تغلبت فيه مدنية الغرب

www.abulhasanalinadwi.org

الكافرة الخليعة على كافة الشعوب والأوطان، إنما ضعف فيه المسلمون ضعفاً في إيمانهم، وفي شدة وفاءهم لرسولهم، فقد دخلت على حياتهم طقوس وتقاليد من الحياة الغربية الملحدة، وذلك خطر كبير بدأ يحدق بالإسلام والمسلمين، ولكن شهر ربيع الأول إنما يأتي كل عام ليذكرنا بانتمائنا إلى نبينا الصادق الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، رحمة للعالمين، ويبعثنا على أن نجدد حبنا له، وحبنا له يسوق إلى حبنا والتزامنا بالدين الذي جاء به صلى الله عليه وسلم وأكمله، فيجب أن نستمد من هذا الشهر الكريم روح حب مخلص ووفاء خالص برسولنا العظيم ولديننا ولأمتنا الإسلامية.

www.abulhasanalinadwi.org

رحمة للعالمين

إن شهر ربيع الأول من كل سنة شهر يبعث على تذكر حياة الرسول ﷺ وأخلاقه الكريمة، وهو الرسول العظيم والإنسان العظيم، كان عبداً لله أنعم عليه بنعمة لم ينعم بها على أحد من بني آدم، كان خاتم النبيين، قائد الغر المحجلين، رحمة للعالمين، عزيز عليه ما عنت أصحابه، و وصفه الله تعالى بأنه بهم رؤوف رحيم، لقد بلغ رسولنا الكريم ﷺ في أخلاقه ورحمته ورأفته وبره ومواساته مبلغاً رفيعاً لا يمكن لأحد من البشر البلوغ إليه، فقد قال الله تعالى في كتابه الخالد:

﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ [الآية: ٤، سورة القلم] وقال: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وكانت حياته تنطوي على أخلاق لا يسع أحداً أن يتحلى بها في حياته، وكانت ظاهرة ملموسة يراها كل من يتصل به، وكان يواجه في اتباعه للحق ونصيحته للناس وطلبه لخيرهم صعوبات وشدائد، يتحملها

www.abulhasanalinadwi.org

ويصبر عليها بكل سعة من صدره، وكان يؤدى ما يراه حسناً بغاية من الإتقان والانصراف التام إليه، يقوم في جانب بالدعوة إلى الحق، ويسهر على ذلك كل السهر، وفي جانب آخر يمنحهم حبه وعطفه، ويعاملهم معاملة الأخوة والكرم والترحم والمؤاساة و الإيناس، و يحنو عليهم حنو المرضعات على الفطيم، ولقد شهد بذلك كتاب الله العزيز بقوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [الآية: ١٢٨، سورة التوبة].

كانت حياة الرسول ﷺ بذلك تجمع بين أداء حقوق الله وأداء حقوق العباد بكل ما في الكلمة من معنى دقيق.

ولقد كان ﷺ أعظم الناس سعياً واجتهاداً في العبادة، يقوم في دجى الليل أمام ربه، حتى تتورم قدماه، ويصوم أياماً كثيرة وخاصة في شهر شعبان حتى كان يقضي الشهر كله في بعض السنوات فى الصوم، وينفق المال في سبيل الله حتى لا يبقى عنده شئ مما يأكله هو وأهل بيته، و أحياناً يمرّ به و بأهله شهران ولا توقد في بيته نار، يكتفي حيناً بالتمر القليل الحاصل له. وقد يسد حاجته من الغذاء بلبن الشاة يشربه، قد ير توى منه، وقد لا يرتوي، وأحياناً لم يكن يجد شيئاً يأكله ويشربه فيبيت الليل جائعاً، وقد يقضي النهار بتمر أو تمرتين أو ثلاثة.

www.abulhasanalinadwi.org

ولا يخيل إلى أحد من هذا كله أنه كان محروماً من متاع الدنيا ومن مال يسد حاجته، لم يكن الأمر كذلك، بل إنما كان يحصل له من المال ما يكفي حاجته منذ أن بدأ يشتغل بالتجارة في مكة المكرمة، ومنذ أن جاء إليه نصيب من الغنائم، فأصبح له شئ من الزرع والنخيل في فدك وغيرها، وكان يأتي إليه منها ما يسد حاجته، ويكفي لضروراته واحتياجات عياله، ولكن كان من دأبهﷺ أن ينفق المال على من ينزل عليه ضيفاً أو يسأله قضاء حاجته، فكان يعطي الناس عطايا، ويبالغ في الجود والسخاء.حتى يكون مثاله في البذل والإعطاء كريح مرسلة، وكان ينفق على أهل الصفة أيضاً، وقد يبلغ عدد هم السبعين ويسعى لقضاء حاجتهم من الغذاء، وكان أهل الصفة أضياف الإسلام لم يأووا إلى أهل ولا مال، وكان رسول الله ﷺ إذا جاءت إليه هدية أو حصل له مما يؤكل، كان يطلبهم ويعطيهم منه، وكانوا يتلقون منه العلم، وينهلون من تعاليم رسول الله ﷺ الدينية، كانوا يعيشون على ما يهيئ لهم رسول الله ﷺ من غذاء وحاجيات.

وكان من أهل الصفّة صحابيّ مشهور وراوي الحديث العظيم أبو هريرة رضى الله عنه قد قضى في الصفة ملازماً رسول الله ﷺ يتلقى منه تعاليم الإسلام، ويقضي جل أوقاته في

www.abulhasanalinadwi.org

الاستماع لحديث رسول الله ووعيه، فسمع منه كثيراً من الأحاديث ووعاها، ولذلك يعد أكثر الناس رواية وتحديثاً عن رسول الله ﷺ فروي عنه أنه قال: "مرة أخذ أهل الصفة الجوع مأخذه ولم يكن عند رسول الله شئ للأكل، فما لبث أن جاءه اللبن، فقال رسول الله ﷺ: أباهر، قلت لبيك يا رسول الله! قال: انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لي، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يأووا إلى أهل ولا مال، إذا جاءت رسول الله هدية أصاب منها وبعث إليهم منها. وإن جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها، قال: وأحزنني ذلك، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي، وكنت أنا الرسول، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم، وقلت: ما يبقى لي من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت، ثم قال: أباهر، خذ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح، حتى أتيت على آخرهم، ودفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه في يده وبقي فيه فضلة، ثم رفع رأسه ونظر إلي وتبسم، وقال: أباهر، قلت! لبيك يا رسول الله، قال! بقيت أنا وأنت، فقلت: صدقت يا رسول الله، قال: فاقعد

www.abulhasanalinadwi.org

فاشرب قال: فقعدت فشربت، ثم قال لي: اشرب فشربت، فما زال يقول لي: اشرب، فأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له في مسلكاً، قال: ناولني القدح، فرددت إليه القدح فشرب من الفضلة". [أخرجه البخاري].

تستنتج من هذا الحديث أمور عديدة:

أولها: إن الحديث يرشدنا إلى أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يوجد فيه شئ من أنواع الطعام في غالب الأحيان، وبالرغم من ذلك إذا جاءه شئ منه، وكان مضطراً إليه لا يستأثر به لنفسه بل يؤثر الآخرين على نفسه، ثم لو بقى منه شيئ تناول،و إن لم يبق منه فتوكل على الله تعالى.

وثانيها: يتمثل من خلال رسول الله ﷺ أنه رغمْ قلة الشيئ يراعى جميع الناس فلا يفضل أحداً على غيره.

وثالثها: تربية النفوس الخلقية على أن تتعود النفوس على الإيثار والترجيح والتفضيل، ويترشح منه أنه لم يكن يبالي بالمخاطر المالية والاقتصادية عند الإعطاء والمنح والإيثار.

ورابعها: إذا كان عمل الإنسان متصفاً بالإخلاص والتقوى والإيثار والبر، فإنما يبارك فيه من الله، ويكفي الشيئ القليل للكثير من الناس، والبركة ليست ظاهرة تظهر في كل حين بل إنما تظهر عندما كانت نية العامل وعاطفته خالصة رفيعة

www.abulhasanalinadwi.org

لا يشوبها شيء من أغراض الدنيا، ولا يكون هناك حل للمشكلة، فعند ذلك يبرز فضل الله، وتأتي منه البركة في القرر اليسير فهو مع قلته يعطي فائدة كثيرة، ويظهر هكذا في أعين الناس.

ولقد ظهرت البركة في حياة رسول الله ﷺ في مواضع كثيرة، صار فيها القليل في فائدته ونفعه وقضاء حاجة الناس إليه كثيراً، حصلت هذه البركة في موقعة غزوة الخندق وفي غزوة الحديبية، وذكر كل ذلك يطول.

وإن الذي يسترعي الانتباه في هذا الصدد أن رسول الله ﷺ إذا واجه ظرفاً يحتاج فيه إلى شيء، ويحتاج إليه أحد أصحابه أيضاً، فكان إما يشركه معه فيه، وإما يؤثره على نفسه، فلا غرابة إذن إذا كان الرسول ﷺ يصبح قليل المال نتيجة لذلك البذل والعطاء، وقد كان يبذل ماله في طرق الخير ومواساة الناس، ولو أمسك رسول الله ﷺ شيئاً من أمواله التي كانت تأتيه فيما بعد، واقتصد في الإنفاق، ولم يبالغ في الجود والعطاء لم يواجه قط الفاقة والفقر والبؤس، ولكنه كان نبياً لم يكن رجل الدنيا الذي لا ينظر إلا إلى مصالحه وحدها، لقد كان رسول الله ﷺ يفكر في شؤون جيرانه كما يفكر في شؤونه، ولا يدخر وسعاً في إكرام الضيوف، وتوفير وسائل راحتهم، ومواساتهم،

www.abulhasanalinadwi.org

وإظهار التعاطف معهم، وقد بلغ من عطفه ورأفته بالمسلمين أنه أعلن مرة، وقال: فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه، فمن يستطيع أن يفعل ذلك مهما كان سخياً وجواداً ومهما كان عطوفاً ورحيماً، وهو أن يقول لأصحابه ورفاقه: إنكم إن أحرزتم نفعاً أو مالاً فهو لكم، وإن خسرتم فالخسارة عليّ.

هذه هي الأخلاق الكريمة النبيلة التي امتاز بها رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم ، وقد امتلك بها النفوس والقلوب والمشاعر، ومن لقيه مرة امتلأ قلبه بحبه له والغرام به، فقد قال: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [رواه مالك في الموطأ] ولقد تمم حقاً مكارم الأخلاق، فنحن حينما نستعرض حياته الكريمة نجدها أنه لا يفكر فيها للحصول على نفع مادي أو راحة ورفاهية، ولا يخطر بباله أن يكتسب لشخصيته فائدة مادية بل إن همه كله هو مواساة الناس والبر إليهم، ولم يكن هذا الهم قاصراً على نفعهم في هذه الدنيا وحدها بل إنما كان يهمه بصورة أكبر نجاحهم وكسبهم الخير في آخرتهم، والنجاة فيها من النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فقد قال صلى الله عليه وسلم قولاً يدل على همه في إنقاذ الناس في الآخرة، وهو قوله: مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب

www.abulhasanalinadwi.org

التي تقع في النار، يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمون فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها. وقال في آخرها: فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني وتقتحمون فيها.[متفق عليه برواية أبي هريرة رضي الله عنه]

لقد بلغ فكره في الناس ونجاتهم في الآخرة من النار إلى حد أن قلبه كان يتلظى ألماً، ويعتصر فؤاده أسفاً، وهذا الفكر أقض مضجعه وأطار نومه، فكان لا يكتحل بنوم ليالي متتالية كما صور القرآن الكريم قلقه البالغ واصطراعه النفسي أدق تصوير: فقال: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾. [الآية:٣، سورة الشعراء] .

وفي الحقيقة كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا تهدأ له لوعة، ولا يطمئن له جنب، ويتوجع كرباً على الناس الذين كانوا يعيشون في ضلالة عمياء، فيقول في نفسه، ويتساءل ماذا يكون لهؤلآء الناس في الآخرة وما هي الطريق لإخراجهم من هاوية الضلال إلى ساحة النور والهداية، فلا يقهر أحداً ولا ينهره ولا يكرهه ولا يشتد في أمره بل يختار طريق الحكمة والمحبة والملاطفة، ويدعو الناس بهذا الأسلوب الأخاذ بمجامع القلوب إلى الدين الجديد، وكان إلى ذلك جامعاً بين العاطفة

www.abulhasanalinadwi.org

الإنسانية النبيلة ورقة الشعور والمواساة وبين تألمه وحزنه لما يقع فيه الناس من ضلال وفساد وبعد عن مرضات الله، وكان يتلهف لإنقاذهم من هلاكهم في الآخرة ومن العذاب الأليم فيها، فمن رآه على ذلك الحال واقترب منه ولاحظه عن كثب تأثر به وتغير مسار حياته، وتبدل رأساً على عقب، وارتمى في حضنه ارتماء الطفل في حضن أمه، وربما قصد رجل من مشركي مكة لقتله صلى الله عليه وسلم ولكنه لما وصل إليه ورآه هابه، ولما سمع كلامه العذب زال عنه قصده وفتر عزمه، وترك إرادته، وأصغى إليه فتنسم فيه نسائم المحبة والعذوبة الإنسانية، فانقلب إلى محب له يفديه بنفسه ومهجته.

وقصارى القول إن حياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كانت مليئة برقة الخلق والمحبة والمواساة ودماثة الطبع والغرام بدعوة الناس إلى الحق والبر والصلاح وطلب رضا الله تعالى في الآخرة، ودعوتهم إلى التحلي بمكارم الأخلاق وبالقيم المثلى، ولم يكن داعياً مجرداً عن العمل بل كان عاملاً بما يدعو إليه مجتهداً لكسب رضوان الله في الدنيا والآخرة.

ومن نماذج رحمته بأمته وأصحابه أنه دعا الله تعالى في ليلة معراجه عند فرض الصلوات لتخفيف مراقها في اليوم والليلة من خمسين إلى خمسة، وذلك للتيسير للمسلمين، وأنه

www.abulhasanalinadwi.org

بشر الناس بأن الدين يسر والعمل به ليس بعسير، وأمر المسلمين بأن يسددوا ويقاربوا ويقضوا متطلباتهم الدنيوية مع امتثالهم لأحكام الدين وأوامره.

وأوضح لهم أن العمل بالدين والامتثال لأوامرالله تعالى في العبادة والأعمال الصالحة والقيام بواجبات الحياة الدنيا يجتمعان ولا مخالفة بينهما على العكس مما في الديانات الأخرى، وهذا الاجتماع للدين مع الدنيا ميزة خاصة للدين الإسلامي يمتاز بها عن سائر الديانات.

بل يتسع إطار العمل في الدين الإسلامي مثلما لو عمل شخص عملاً دنيوياً ونوى به نيل رضاء الله، وكانت نيته خالصة فإنه يثاب عليه مثلما يثاب على عمل ديني وعبادة.

لاشك في أن هذا الاحتواء للإسلام للدين والدنيا إنما هو الذي جاء به محمد ﷺ ودعا إليه جميع أفراد الإنسانية لأخذه والتمسك به، وكان قضاء المقتضيات الدنيوية باتباع ما شرع الله له والقيام بالبر مع الناس، وأوامر الله تعالى في نفسه وفي أمته ونحو دينه ودعوته وأداء مسئولية الرسالة التي ألقاها الله عليه من خصائص سيرته العطرة الكريمة، أورثها رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر أتباعه إلى أن تقوم الساعة، فيجب على جميع المسلمين احتذاء حذوه العظيم واتخاذه نبراساً في حياتهم.

www.abulhasanalinadwi.org

واجبنا نحوذكرى مولد الرسول ﷺ

إن ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هي في الواقع ذكرى اليوم السعيد والعهد الجديد الذي استهل على يدي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله تبارك وتعالى رحمة للعالمين وشاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

كان العالم الإنساني قبل بعثته عليه السلام قد أظلمت أرجاءه وتراكمت عليه سحائب كثيفة من الظلم والظلام لفترة من الأنبياء فواجه العالم انطفاء مصابيح الحق والهدى؛ وانتشرت فيه القوى الباطلة، وجنود الشيطان وغزت وفود إبليس كل بقعة من بقاع المعمورة، حتى استحق حال البشر السيئ أن يكون محل غضب الرب وسخطه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أنه قال: "إن الله نظر إلى أهل الأرض

www.abulhasanalinadwi.org

فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب[1].

فجاشت رحمة الله تعالى ومال كرمه إلى هذه الدنيا التي كادت تصبح خراباً يباباً لكي ينقذها من الهلاك والدمار، فبعث الله سبحانه وتعالى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هادياً للضالين، ودواءً للمدنفين، وشفاء للمرضى والمصابين، ورحمة للعالمين كما تدل عليه الآية الكريمة:﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2]، إن هذه السيرة العطرة الكريمة والحياة الطيبة المباركة التي تصغي إليها آذاننا وتهفو إليها قلوبنا، لتحمل في طياتها ما يضيئ لنا الطريق وينير السبل في أطوار الحياة المختلفة، فقد أودع الله سبحانه وتعالى في حياة نبيه صلى الله عليه وسلم نواحي شتى وجوانب متعددة، وحلاها بمكارم الأخلاق وعظيم السجايا وأحسن الخصال لكي تكون نبراساً للمسلمين يستضيئون به ويهتدون، وينالون سعادة وفلاحاً في الدنيا والآخرة.

إذا فما أجدرنا أن لا نقتصر في هذه الاحتفالات التي نقوم فيها بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم على مجرد الخطابة

---

[1] رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي رقم: ٢٨٦٥.

[2] سورة الأنبياء، الآية:١٠٧.

www.abulhasanalinadwi.org

ومحض الكلام، بل نقتبس من حياته الطيبة النور الذي نسعد به بأن يسعى بين أيدينا وبأيماننا في هذه الدنيا والآخرة، وبذلك تطيب حياتنا وتصلح، وتتزكى نفوسنا وتصفو، وتصلح قلوبنا وتطهر في جانب، وفي جانب آخر نحل به مشاكلنا، ونفك معضلاتنا، وتنجلي به الهموم والغموم عنا، كما يحسن بنا أن لا تكون هذه الحفلات والأعياد سبباً لمجرد الحصول على الفرح والبهجة في القلب، وانتعاش النفوس والأرواح، بل يحسن بنا أن نستفيد منها ونتلقى توجيهات حكيمة وإرشادات نافعة لنعيش حياة طيبة مباركة كأمة ذات رسالة وغاية وذات هداية ودعوة.

إن الله تعالى جعل أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة، وفضلها على سائر الأمم، وجعلها أمة وسطاً، وناط بها قيادة الإنسانية وهدايتها وزعامة العالم، وفوض إليها مهمة الدعوة، وإليها يرجع الفضل في كل تقدم ونهضة في التاريخ، وكان الإعراض عنها وإغفالها سبب كل عثرة وسقوط لهذه الأمة، ومن أجل القيام بهذه الوظيفة الكبرى وفي سبيلها قامت الأمة بجهود شاقة، ومرت في عهدها الطويل بأوضاع شديدة وواجهت أموراً خطيرة ودقيقة بلغت عن طريقها إلى المجد.

إن الأمة الإسلامية عندما سلكت طريق نبيها وأصحابه ومن تبعهم بإحسان من الأئمة والأولياء والمجددين والمصلحين

www.abulhasanalinadwi.org

وعضت على قدوتهم بالنواجذ قامت بالمآثر الجليلة وأتت بعظائم الأمور وجلائل الأعمال وحفظت مكانتها وخصيصتها، ولا يزال هذا الطريق مفتوحاً معبداً لكل من أراد أن يسير سيرة أصحاب الدعوة والعزيمة وينتهج منهجهم، ويكمن في ذلك صلاحنا وفلاحنا وسعادتنا وازدهارنا.

إن كمال الإيمان وتمامه يتوقف على محبة خاتم الأنبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات فلا عبرة بدين أحد وإيمانه أياً كان حتى يكون حب النبي صلى الله عليه وسلم في قلبه أكثر من كل شئ سوى الله تعالى وقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين[1]".

هذا هو الحب الذي يربط المسلمين برسولهم صلى الله عليه وسلم ربطاً وثيقاً محكماً، وهذا الرباط هو الذي يتكفل ببقاء المسلمين كأمة ممتازة متحدة كالبنيان المرصوص يتعايش أبناءها إخواناً متحابين متراحمين متعاطفين كأنهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وفى

[1] رواه البخاري في الإيمان رقم الحديث: ١٥

www.abulhasanalinadwi.org

هذه المحبة صيانة دينهم وإسلاميتهم والاحتفاظ بقيمتهم وكرامتهم، فما دام المسلمون متصلين بنبيهم متشبثين بذيله متعلقين بأهدابه كانوا باقين على دينهم، مستقيمين على شريعتهم، أوفياء لأمتهم، أقوياء على وحدتهم وكيانهم، ولقد أرشد الله عزوجل المؤمنين إلى أن يجلوا نبيهم ويحبوه ويرتبطوا به ويمتثلوا أمره ويتأدبوا بأدبه ويهتدوا بهديه ويتحاكموا إلى حكمه فقال جل وعلا: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[1]، وقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[2]، وقال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[3]، وقال: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[4].

نحن نجد في شهر ربيع الأول في كل مكان احتفالاً عظيماً وسروراً كبيراً بمناسبة ذكرى مولد الرسول الأكرم صلى

---

[1] سورة النساء: ٦٥.

[2] سورة الأحزاب: الآية: ٢١.

[3] نفس السورة، الآية: ٥٦.

[4] سورة النور، الآية: ٦٣.

www.abulhasanalinadwi.org

الله عليه وسلم، وياحبذا لو روعي في هـذا السرور وهـذا الاحتفال ما يسرّ روح الرسول صلى الله عليه وسلم،وسرور روحه الطاهرة إنما هو في أن ننفع خلق الله تعالى وننصر الضعفاء والمساكين، ونمد إلى اليتامى والأيامىٰ يد العون ونقوم بإسعاف المكروبين والملهوفين أكثر منه في مجرد إبداء السرور والفرح والاحتفال به احتفالاً زائداً. إن الاعتناء بناحية اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في فعل الخيرات وإسداء المعروف لما يرضي الله عز وجل ويقر عين الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن الأغنياء والأثرياء منا يسهمون في هذه الاحتفالات والأعياد بقسط كبير من أموالهم وثرواتهم، وقد ينصر البعض الفقراء والمساكين أيضاً بعض النصر، ولكن يجب أن نعطي كل ناحية من الناحيتين حقها من الاهتمام، ويكون بينهما مزيد من الانسجام. فقد كان من أخلاق الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام أنه كان يصل الرحم، ويحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق[1]، وكان يحب ذلك ويأمر به.

---

[1] رواه البخاري: في بدء الوحي رقم الحديث ٣ ونفس هذه الصفات جاءت في حق أبي بكر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم انظر: صحيح البخاري كتاب الكفالة رقم الحديث: ٢٢٩٧.

www.abulhasanalinadwi.org

ينبغي لنا أن ننظر كم ننفق في مجرد إظـــهار ســـرورنا وإرضاء رغباتنا، وكم نبذل في التأسي بحبيبنا وشـــفيعنا ونبينـــا واتباعه صلى الله عليه وسلم، وكم نهتم بالاحتفالات والأعيـــاد والذكريات، وكم نهتم بامتثال تعاليم الرسول المعلم، والاهتـــداء بهديه، واقتفاء آثاره صلى الله عليه وسلم، لوتأملنا ذلك لوجدنا بين الناحيتين تفاوتاً كبيراً وبوناً شاسعاً، وإن طريق الاعتـــــدال والاتزان في ذلك يضمن حل كثير مما نعانيه مـــن المشـــكلات والقضايا المعقدة، وفي ذلك قوة للإسلام والمسلمين فكم يحرمنـــا هذا الإسراف في الاحتفال وإبـــداء الســـرور مـــن الخـــيرات والحسنات، ويبعد بنا عن رضا ربنا تبارك وتعالى واتباع رســـوله صلى الله عليه وسلم.

ولو أننا لم نسرف في تزيين العمارات والمباني والبيوتـــات لتصبح بقعة أنوار، بل عنينا باتباع رسولنا محمد صلى الله عليـــه وسلم في الاقتصاد في الإنفاق على رغباتنا ونقوم بـــــدلاً منـــه بإسعاف الملهوفين لكي يبني لنا في الجنة قصر أحسن مما هو لدينا في الدنيا لكان ذلك خيراً وأي خير، وبالجملة فإن الأعمال الـــتي تكون فيها مسرّة الرسول وراحة روحه وقرة عينه والتي فيـــــها سعادة للمسلمين وصلاح وفلاح للأمة الإسلامية، هـــي الـــتي تستحق أن يكون اهتمامنا بها أكثر وأوفر، وفقنا الله تعالى لاتباع

www.abulhasanalinadwi.org

الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوك الطريق الذي يحبـــــه الله ويرضى عنه، ويكون سبباً لمسرة نبينا صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

www.abulhasanalinadwi.org

الدعوة إلى مجتمع متعاون متكافل

إن تعاليم رسول الإسلام ﷺ ورسالته البشرية قد أحدثت انقلاباً عظيماً في التاريخ الإنساني، بل إنما أصبحت منارة شامخة للعالم في كل عصوره وأزمانه حتى لعصرنا المتحضر الحالي، لقد قدّم رسول الله ﷺ حلاً شاملاً لجميع مشكلات الحياة الإنسانية ومعضلاتها التي كانت تواجهها البشرية في جميع أقطارها، لقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحل مشكلات الحياة المتنوعة مبادئ إنسانية رائعة لا يجد ركب الحياة الإنسانية معها صعوبة في مواجهة السير نحو أهدافها الرفيعة وغاياتها الفاضلة، بل إنما يتمكن بها أن يقيم مجتمعاً فاضلاً يتحلى بالإخلاص والمساواة والعدالة الاجتماعية والمثل العليا والمؤهلات الإنسانية والحب للتعليم والتعلم.

لقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم دروساً قيمة في الأخوة الإنسانية والعدالة والمساواة، وأبطل موازين الفرقة

www.abulhasanalinadwi.org

والخصام التي كان وضعها المغرضون والمتغطرسون من الناس من أصحاب الطبقات القوية، بين الإنسان والإنسان، على أساس الغنى والفقر واللون والعنصر، ونالت المرأة حقوقها، وعز الإنسان بإنسانيته، ونال كرامته وشرفه الذي أكرمه الله به بين مخلوقاته الأخرى، لقد عني رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل هذه الجوانب، حتى فارق الدنيا ولحق برفيقه الأعلى، فقد تجلت تلك الروح السامية في جهوده الطيبة إلى آخر لحظة من لحظات حياته، فعندما أوصى أمته بالاهتمام بالصلاة التي هي أحق حقوق الله سبحانه وتعالى أكد بأداء حقوق العبيد بمعاملتهم معاملة إنسانية كريمة وهي أوضح صورة من صور المساواة الإنسانية، وهي من حقوق الإنسان بين بنى جنسه فقال:" الصلاة وما ملكت أيمانكم" [رواه البيهقي وأحمد عن عائشة رضي الله عنها] ونصح أمته في توصياته التاريخية الخالدة يوم حجة الوداع في مشهد تاريخي عظيم، فوضع بذلك أول ميثاق إنساني كريم، فيه كل رعاية لحقوق الإنسان على الإنسان، وتقرير المساواة والعدالة بين أفراده، رغم الفوارق المادية من وطن أولون أو دم.فقال:

"أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، ألا! فليبلغ الشاهد الغائب، وأضاف قائلاً: كلكم من

www.abulhasanalinadwi.org

آدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى "وقال" إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا" [خطبة حجة الوداع].

لقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة الإنسان وشرفه في منزلة حرمة الدين وشرفه، ونادى بالأخوة والمساواة بصورة لا يوجد لها نظير في التاريخ الإنساني قبله، انظروا إلى دقة رؤيته لمكانة الإنسان وقيمته في كل زمان ومكان فكأنه كان يرى إلى العالم المستقبل ومقتضاه وقضاياه منذ أربعة عشر قرناً، لقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنسان إرشاداً سديداً إلى فهم المشكلات التي سيواجهها الإنسان في كل عصر ومصر، إنه هدم السدود المصطنعة بيد الإنسان نفسه بين الأبيض والأسود، وهدم المقاييس الزائفة لتقسيم الإنسان والمفاضلة بين أفراده، وتوزيعهم بين الكبير والصغير، وبذلك هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أركان العصبية القبلية والعنصرية كلها كما سبق ذكره في إعلانه في المشهد التاريخي العظيم يوم حجة الوداع، لقد قرر فيه حرمة الإنسان وقيمته بمثابة حرمة الشعائر الدينية وأحكامها.

وإنه صلى الله عليه وسلم لم يعط حق الفضيلة لواحد

www.abulhasanalinadwi.org

على الآخر إلا على أساس التقوى والأعمال الصالحة واتباع أوامر الله وعلى الكفاءة و الخبرة والتجربة، وبذلك قضى على موازين التمييز القبلي وتمييز اللون والنسل، وأمر أتباعه أن يطيعوا أمراءهم وإن كانوا من طبقات السود أو العبيد، فهذا النداء الذي نادى به رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب، لو جاء بلسان رجل آخر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصتوا لقوله ولم يفتحوا له أسماعهم ولم يقبلوه، بل ربما هجموا عليه وضربوا عنقه، لقد كان هذا النداء الذي نادى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أول إعلان منح الإنسانية عظمتها وأعطاها شرفها فهو بمنزلة المنارة الشامخة في تاريخ الأمم والشعوب، وهذا النداء لم يكن نداء خرج من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب على الهواء، بل كان بين يديه جموع من أتباعه الذين كانوا يتسابقون لتطبيق تعليماته وتنظيم الحياة الإنسانية على مبادئه، وكانت هذه التعليمات تنفخ في أتباعه المعاني السامية لروح الأخوة والمساواة، ولقد رأينا أن العبيد حكموا في عهود من التاريخ الإسلامي، فلم يتخلف المسلمون عن إطاعتهم، واستوى في طاعتهم البيض والسود على السواء، ومزق رسول الله صلى الله عليه وسلم العصبيات الجاهلية من طبقية وعنصرية كلها، فقال دعوها فإنها منتنة.

www.abulhasanalinadwi.org

إننا نجد في تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم دروساً قيمة للمساواة الإنسانية والقيم الخلقية كما نلاحظ فيها رسالة الوحدة والوفاق والوئام، تلك هي الرسالة التاريخية العظيمة المشرقة التي لا يوجد لها نظير في التاريخ الإنساني قبل بعثته صلى الله عليه وسلم.

وكانت نظرات الإنسان عن الدين أنه يهتم بجانب العبادة وترك الدنيا والرغبة عنها فحسب، فالراغبون في الدين كانوا يعتقدون أن التقدم الروحي لا يحصل إلا بترك الدنيا وزينتها وجمالها وراحتها، ولكن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم جاء برسالة جامعة كاملة شاملة لم يكن فيها ترك الدنيا ولا هجر أسبابها بل إنه-صلوات الله وسلامه عليه- جمع بين الدين والدنيا والسياسة والاقتصاد، لأن الرسالة المحمدية هي آخر رسالة جاءت لهداية البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فهي تشمل كل جانب من جوانب الحياة، وهي تهتم أولاً بجانب العقيدة ثم العبادة، كما تهتم بجانب الدين والدولة والشريعة والأخلاق والسلوك والآداب والتربية والتعليم والدعوة والتوجيه، لا تختص بجانب دون جانب آخر، فهي لا تختص بالعبادة دون السلوك، أو تهتم بالفرد دون الجماعة، أو تعنى بالعقيدة وتهمل العمل، أو التعليم دون التربية، بل إنها تشمل

www.abulhasanalinadwi.org

كل جانب من جوانب الحياة سواء بسواء، فوجه إلى الناس كافة قول الله سبحانه وتعالى " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق" ومعناه أنه ما حرم هذه النعم الجليلة على الإنسان، بل إنما شرف الله بها عباده وأخرجها لهم، وأخبر الناس بقوله تعالى "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" وفيها إباحة الطلب لخيري الدنيا والآخرة وسعادتهما سواء بسواء.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم هادياً للإنسانية فدعا الإنسان إلى الجمع بين الدين والدنيا جنباً إلى جنب، فأرشدهم إلى أن يأخذوا نصيبهم من الدين والدنيا من غير إفراط ولا تفريط، فأمرهم أن لا ينقص حظهم من الدين كما لا ينقص حظهم من الدنيا، وجاءهم بمنهج كامل للحياة لا يراعي مقتضيات الحياة الإنسانية ومتطلباتها فحسب بل يعتبرها أمراً دينياً شرعياً، فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولبدنك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، [رواه البخاري] فجعل ضرورات الإنسان وجسمه وبدنه، وضرورات أهله، لا مسموحة ومباحة فحسب بل كجزء من أجزاء الدين، وكذلك الأمور التي يتصورها الإنسان أمراً دنيوياً بحتاً جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم من

www.abulhasanalinadwi.org

أعمال الدين.

فلو استعرضنا تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته بهذه الناحية لوجدناها أكمل وأشمل وأجمع للحياة الإنسانية، وإن تعاليمه تراعي جميع مقتضيات العصر ومتطلباته، وتهتم بها اهتماماً بالغاً، ولكنها تطالب من الإنسان أن تكون اتجاهاته وميوله وهواه وضروراته وفق ما جاءت به شريعته، وأن شريعته لا تمنع عن جمع المال وكسبه، ولكن تضع له حداً كما أنها لا تمنع عن ضرورات النفس ولكن تحد لها حداً، وتقرر دستوراً ومنهجاً للحياة الخلقية والاجتماعية والشخصية، فأحسن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإنسانية حيث أنقذها من الرسوم الجاهلية التي كانت فيها، فكان أهل الدنيا في واد ولم يكن نصب أعينهم إلا الأثرة و الانتهاز لزخارف الدنيا وحطامها، أو كان أهل الدين في واد آخر فهم لا يبيحون لأنفسهم أدنى استفادة من الدنيا وزينتها، فكأن الإنسانية كانت فريسة الإفراط والتفريط إذ جاء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه بنظام جامع كامل شامل للحياة الإنسانية فلا تعارض فيه بين الدين والحياة، بل يملأ كل منهما فراغ الآخر.

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم منتان عظيمتان خالدتان على الإنسانية وهما: أنه صلى الله عليه وسلم أزال

www.abulhasanalinadwi.org

الفرق بين إنسان وإنسان، وأنه أزال البعد والفرقة بين الدين والحياة، فسعدت الإنسانية بهاتين المنتين العظيمتين، وتحررت من ربق الذلة والعبودية.*

* نقل هذا المقال من أصله الأردي إلى اللغة العربية الأستاذ أبو سحبان روح القدس الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

حب الله ورسوله هما مصدرا طاقات الأمة الإسلامية

فقدت الأمة الإسلامية فى الخمسينات الماضية جزءاً عظيماً من طاقاتها النفسية والبشرية التى احتفظت بها فى مختلف أدوار تاريخها الطويل، وكان هذا الجزء مصدر طاقاتها الهائلة، وبها ضعفت كل القوى الخارجية وبها ثبت المسلمون كالجبال الراسيات على العقائد والدين أمام مواجهة القوى الخارجية والبعثات العسكرية، ويقاس مدى فخامة هذه الطاقة بأن الأعداء والمعاندين لايزالون يرونها أكبر خطر عليهم ويخافون منها.

إنما القوة الغالية النادرة التى فقدها المسلمون، هى الإيمان العميق بالقيم الإسلامية والحب الخالص والخضوع الكامل لله ورسوله ﷺ صاحب رسالة الإسلام.

والتاريخ خير شاهد على أن صلة المسلمين الروحية وعلاقتهم النفسية بالله ورسوله ﷺ وثيقة متينة مستمرة منذ فجر

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام، هذه هي القوة التي نفخت في المسلمين روح الطاعة والثقة، بأن صلتهم بالله ورسوله والدين لم تضمحل بأي حال وإن ابتعدوا من امتثال أوامر الله، وفتر روح طاعتهم لله، والقيام بمقتضيات الإيمان، فالودّ العميق والحب الخالص الذي يتمكن في قلوبهم إن قدر له الزوال فيزول أخيراً، وكانت هي الميزات المتميزة والخصائص التي يمتازون بها ويفوقون بها على غيرهم، وبها عرفوا لدى الأعداء والأصدقاء على السواء، ولذلك نرى أن سائر الوسائل والوسائط حينما لا تفيد ولا تجدي يلجأ القادة والزعماء إلى إشعال هذه الجمرة الإيمانية، ويثبت بها أقدام الأمة الإسلامية للدفاع عن الإسلام وعن المقدسات الإسلامية والقيم الدينية.

إن هذه القوة قد ظهرت عند ظهور الأوضاع المضطربة في أحلك العصور للتاريخ الإسلامي، واستفاد بها القادة المسلمون لمواجهة الأوضاع المعقدة المستعصية، وأوضح مثال له المعركة الناجحة، التي وقعت في حطين في فلسطين تحت قيادة المجاهد الكبير السلطان صلاح الدين الأيوبي، ووضع العرب في ذلك الحين لم يكن أحسن منه اليوم، كان الشمل مشتتاً، وكان المسلمون فريسة الفوضى والدعايات والخلافات، وكانوا عراة من العلوم الإسلامية، ولكن كانت قلوبهم عامرة بعاطفة

www.abulhasanalinadwi.org

الاستماتة فى سبيل صيانة الإسلام، ويعتبرون أنفسهم مخلصين للإسلام، ونتيجة لذلك نرى أن هذه الأمة تحولت من التحزب والتشتت والتمزق إلى أمة ذات قوة كبيرة ورسالة خالدة، ومن الوحدات المبعثرة إلى وحدة قوية راسخة، وكانت هذه الوحدة قوية حتى حينما اصطدمت بها الوحدات الغربية الصليبية المعادية للإسلام تحطّمت وتمزقت.

هذا السؤال يبعث على الاستعجاب من أين جاء فى المسلمين هذه الاستقامة وهذا الصمود؟ وكيف نشأت في هذه الأمة الضعيفة المنخفضة هذه الوحدة والهمم؟ فتحولت بها من الضعف إلى الارتباط والقوة لم تعرف الهزيمة قط وكيف حدث ذلك كله؟ لا شك أن منبع كل ذلك هو الإيمان العميق بالقيم الإسلامية، والحب الخالص، والصلة القوية المخلصة بالرسول العظيم ﷺ،ومجاهد الإسلام المغامر السلطان صلاح الدين الأيوبى قد قام بمحاولة إحياء هذا الأساس وتجديده، إن مصدر قوى المسلمين المعنوية هذا مازال موجوداً فى طول تاريخهم الماضى.

إن اسم الله ورسوله عليه الصلاة والسلام هو الذي يؤلف بين قلوبهم حينما تنقطع كل الأواصر، وعلى هذا الأساس نشأ فيهم الاستقامة والثبات، وما زالت القوات المعارضة والمعادية للإسلام في ذعر وقلق من هذا الجانب الخطر، ومن

www.abulhasanalinadwi.org

هذه الطاقات الكامنة فى المسلمين، واستمر هذا الذعر والدهشة والخطر فى قلوب أعداء الإسلام إلى الستينات من هذا القرن، وأخوف الشعارات كانت لهم شعار "الله أكبر" وبلغ فزعهم وشعورهم بالخوف من هذا الشعار إلى أن الضعفاء حتى الأقوياء يخافون منه كثيراً.

واستغل المسلمون هذا الشعار استغلالاً كبيراً لتخويف الأعداء مدة طويلة ماداموا تمسكوا بحبل الإيمان الراسخ بالقيم الإسلامية، والصلة القوية بالله ورسوله عليه الصلاة والتسليم، ولكن كلما تسرب الوهن في هذا الإيمان وفى هذه الصلة القوية ضيعوا مواقع الاستفادة من هذا الشعار حتى صار هذا الشعار لا تأثير له، صوتاً بلا روح، وهتافاً بلا أثر، ولذلك لما أدرك الأعداء أن هذا الشعار والهتاف قد فقد روحه وتحول المسلمون من أصحاب الصول إلى أصحاب القول، زال من قلوبهم فزع الجهاد وخوف التكبير، ولاشكّ أن هذه الخسارة والضياع كان فى تاريخ المسلمين عظيماً جداً لا يعوض، تهون أمامه كل الخسائر الجسيمة، لأن هذه الخسارة سببت خروج هيبة الإسلام وصولته وسلطة المسلمين وغلبتهم من الأعداء مع أن عدد المسلمين في ازدياد مستمر بمر الأيام، وإن عدد المسلمين اليوم يفوق كثيراً بالنسبة لعدد مسلمي القرن الأول، ويحكم

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون اليوم في ربع العالم، والحكومات الإسلامية منتشرة في مختلف بقاع العالم، يملكون اليوم من الوسائل المادية والأسباب المؤثرة والمنتجات أكثر من ذي قبل بل أضعافاً مضاعفة من القرون السابقة، ولكن في المجالات النفسية والشعورية لا يملكون أي أثر وسلطة، ولا هيبة لهم فى قلوب الأعداء وإن بلغوا في الإحصائيات مآت الملايين ولكن هذا قول فقط، وأما الواقع الموجه إليكم من هذه الكلمة (المرة) إنهم كالحشاش والنباتات التي يكتسحها السيل، وقد فقد المسلمون تلك الروح ومصدر الحياة الذي يغلب به على الأعداء، وبقى الجسد الفارغ والهيكل الأجوف، والجسد إذا فقد الروح فما يجدى إذاً.

عيون الأجانب لا تزال مفتوحة إلى هذه الصفة أو الطاقة البارزة للمسلمين، ولا يزالون فى محاولة مستمرة لإبعاد المسلمين وتجريدهم من هذه الطاقة النادرة الثمينة، ومن هذا الجوهر العظيم، ولكنهم أصيبوا دائماً بخيبة وهزيمة في القرون السابقة، ولكن فى القرن الحاضر قد نجحت القوات العدوانية فى أغراضها وأهدافها الخبيثة بتسليط الثقافة الملحدة والحضارة المفسدة على الجيل الجديد المسلم بهتافات خلابة وبشعارات رنانة وبأسلوب تربيتهم النفسية والذهنية، تنفرهم به من كل قديم، وتبغض إليهم تراث أسلافهم السابقين.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد بذلت أوربا قصارى جهدها لتنشئة جيل مسلم لم تربطهم بأمتهم إلا القوميات، هل يمكن لنا أن نتوقع أن الزعيم أو القائد الذي تربى على مائدة أوربا يستطيع أن يحرك مجاديف سفينة الإسلام ويخرجها من ورطة الهلاك إلى ساحل النجاة؟

هلا تتوقع من هؤلاء أنهم يبعدون الأمة الإسلامية من قيمها ومثلها الإسلامية الأصيلة بطرق السياسة و بالتعليم الغربي والتربية الغربية، ويخرجون حب الله ورسوله عليه الصلاة والتسليم من قلوبهم، ويقضون على عواطفهم الدينية الجياشة.

مما يبعث على الأسف والقلق أن أوربا المادية الراقية قد نجحت في التغلب والسيطرة على الأمة الإسلامية، وتتخذ الآن موقفاً يخشى منه أن تقضي به على القوات الإسلامية التى ساقت المسلمين إلى النجاح والتغلب والطموح والتقدم، وأعادت إليهم مجدهم التليد وشرفهم القديم فى الظروف المضطربة العسيرة.

www.abulhasanalinadwi.org

رحلتي الأولى إلى الحجاز منزل الوحي

لقد كان من أعز آمالي وأكرم تمنياتي أن أتمكن من زيارة بلد عربي، وقد حقق الله أمنيتي هذه، وأكرمني أولاً بزيارة الحجاز موطن الهدى ومبعث النور ومركز الإسلام، فركبت البحر وقد كنت سمعت عن جلاله وعظمته قبل أن أبصره أو أركب على متنه الذي إذا أراد رجل أن يأتي عملاً لا يطاوعه قالوا له هل ركبت البحر، والذي تهيب منه كثير من الرجال، ووصفوه بالروعة والهول، فقال أبو فراس الشاعر المعروف حين أسره الروم شارحاً لما يحيط به من قسوة وبؤس.

وللبحر حولي زخرة وعباب

فلما ركبته وطمى بي خوفني وشغل بالي فقضيت يومين لا أهتم إلا بأن يهدأ ويسكن ولو أن رحلتي هذه في البحر كانت رحلة حبيبة إلى النفس، فقد كنت أقترب إلى البلاد التي طالما دار حولها خاطري وجالت فيها روحي، لكن البحر اصطلح لي بعد زمن

www.abulhasanalinadwi.org

يسير، فلم أقض على ذلك إلا بضعة أيام حتى لاحت لي جبال من حضر موت كانت جرداء، وكانت كجبال عامة رأيتها في حياتي لا تختلف عنها، لكن ليت شعري من أين جاء ذلك الحنين الذي كنت أشعر به نحوها، وذلك الانجذاب الذي كنت أجده إليها في قلبي، وبعد لحظة لاحت لي على الساحل صناديق كثيرة بيضاء تلمع في الضحى، لا كما تلمع المرآة والفضة أو كائن من الكائنات اللامعة، بل إنما كانت تلمع كما يلمع الشئ الأبيض في ضوء النهار مثل ما يحدث به الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وبدأت باخرتي التي كنت عليها تقترب إلى مجموعة هذه الصناديق الكبيرة اللامعة المنبثة على الساحل، وبدأت تزداد وضوحاً وكبراً، وبعد قليل تحولت إلى مدينة فيها قصور شامخة، وبيوت جميلة بيضاء الجدران يحلو منظرها من بعيد، وسألت عن اسمها فأخبروني بأنها "مكلا" عاصمة إمارة من إمارات الجزيرة العربية وهي أول مدينة عربية أبصرتها في حياتي، وما كان بعد ذلك إلا أيام حتى نزلت في جدة وهي باب الحجاز اليوم مع أن تاريخ الجزيرة العربية قلما يساعدنا في التماسها في غابر الأيام، وإن لها اليوم لشأنا أي شأن في مدن الحجاز، ولا تزال تزداد

www.abulhasanalinadwi.org

رونقاً وازدهاراً وعظمة، وتوشك أن تضارع أوسط الحواضر العربية، وهناك شاهدت أول مرة الحياة العربية المسلمة، ولمست ملامح من المدنية العربية الحاضرة، واجتمعت مع الرجال والأعيان،وقد اجتمعت مع السري الفاضل الكبير الشيخ محمد نصيف وهو من رجال الحجاز المشهورين علماً ومكانة، وذو مطالعات واسعة في الدين والثقافة والأدب.

ثم توجهت إلى مكة المكرمة مهبط الأنوار ومولد الرسول عليه السلام، أم القرى التي عمرها إبراهيم عليه السلام بقوله ﴿إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات...﴾ والتي أمر الله فيها نبيه إبراهيم عليه السلام بقوله ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ [الآية: ٢٧، سورة الحج] ، بلدة فيها الصفا والمروة وزمزم، فيها حراء وثور وعرفة والمشعر الحرام، وفيها منى الذي يقول متحدثاً عنه الشاعر.

فلما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح

www.abulhasanalinadwi.org

وشدت على دهـــم المـــهارى رحالنـــا
ولم ينظر الغادي الذي هـــــو رائـــح
أخذنا بأطراف الأحـــــاديث بيننـــا
وسالت بأعناق المطـــــي الأبـــاطح

وليس احترام مكة مقتصراً على المسلمين بل وإنما أحبتها العرب في الجاهلية كذلك، ترى ذلك في قول مضاض بن عمـــرو حين يحن إليها عند ما نفته خزاعة مع قبيلته، فأشرف إليها مـــن جبل وقال:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمـــكة ســـامر

واستطرد فقال:

وسحت دموع العـــين تبـــكى لبلـــدة
بها حرم أمن وفيـــــها المشـــاعر

دخلت في مكة وأقمت فيها حول بيت الله الحرام، ويـــا للشرف أكثر من نصف عام اختلست من خلالها أياما لزيـــارة الطائف مصيف الحجاز وحقل مكة للفواكه والأثمار، تلك البلدة التي قرنتها العرب بمكة في العظمة والأهمية كما حدث القـــرآن عنهم، "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل مـــن القريتـــين عظيم"، ولما توفى عم الرسول عليه السلام أبو طالب وكان يحميه

www.abulhasanalinadwi.org

من أعدائه توجه إليها ورجا من أهلها أن يعتنقوا دينه ويحموه فقسوا عليه قسوة ما برحت ذكرى أليمة في نفسه عليه السلام، لكنه لم يرض بأن يهلكوا، بل إنما رجا أن يكون من ولد أهلها من يؤمن وينصر الدين، فكان منهم فيما بعد رجال كبار من أمثال محمد بن القاسم الثقفي الذي غزا الهند في عهده الباكر فقال الشاعر.

ساس الرجال لسبع عشرة حجة
ولداته عن ذاك في أشغال

ومن غريب الأمور أن كلاً من مكة والطائف تتم ما ينقص الأخرى من جو وثمر، فإن أرض مكة قاحلة جديبة وأرض الطائف خضراء منبتة فتستورد الثمرات من هذه إلى تلك، وجو مكة حار لا يبرد كثيراً حتى في الشتاء، أما جو الطائف فبارد حتى في الصيف، ومن هنا عبر محمد بن عبد الله النميري عن ترف حبيبته وسراوة حالها بقوله.

تشفو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

ثم زرت المدينة المنورة وكنت جلت فيها بروحي وتمنيت بالحضور إليها طول عمري، وكان الحضور إليها من أعز تمنياتي:

منى إن تكن حقاً أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً ورغداً

www.abulhasanalinadwi.org

مدينة نسبت إلى الرسول عليه السلام هاجر إليها فأصبحت موطن البركة والسناء والشرف بعد أن كانت بلداً فيه المرض والوباء، تلك المدينة التي صارت بعد الهجرة بمثابة القلب النابض للعالم الإسلامي، وفي كل بقعة منها معالم وآثار من الإسلام ورجاله، ما أبركها وأشرفها، فيها جبل أحد وما أدراك ما أحد! إنما قال عنه الرسول عليه السلام: هذا جبل يحبنا ونحبه، [رواه البخاري، باب فضل الخدمة في الغزو] أحد الذي شهد معارك المسلمين، وحاط الرسول عليه السلام بكنفه حينما كسرت رباعيته، وفيها سلع الجبل الذي كان يتوسط عمران المدينة حتى أوفى عليه رجل من قبيلة أسلم حين قبلت توبة كعب بن مالك، و قال يا كعب أبشر، جبلين يحن إليهما من يحن ويذكرهما في شعر كما قال محمد بن عبد الملك الفقعسي وهو في بغداد:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بسلع و لم تغلق على دروب
و هل أحد باد لنا و كأنه
حصان أمام المقربات جنيب

واستطرد فقال:

فإن شفائي نظرة إن نظرتها
إلى أحد والحرتان قريب

www.abulhasanalinadwi.org

دخلت المدينة على صاحبها ألف ألف سلام، واجتزت وادي العقيق الذي طالما لهجت به ألسن الشعراء وذكرته فحن إليه الأدباء، مجال الرجال الظراف ومنتزه أهل المدينة الذي قالت فيه أعرابية غريبة عنها.

إذا الريح من نحو العقيق تنسمت
تجدد لي شوق يضاعف من وجدي

مررت به وكان حينئذ جديباً، فلما اجتزته أصبحت القبة الخضراء أمامنا تجذب الأبصار من أحداقها، وتنزع القلوب من أوطانها.

لقد سعدنا بذلك اليوم الذي طالما قفزت له نفوسنا، وارتاحت لذكره قلوبنا، إلى أن وصلنا إلى مرأى من القبة الخضراء ومسمع.

دخلت المدينة المنورة هذه البلدة الكريمة التي كان الإمام مالك حينما يحدث حديثاً يشير إلى قبر الرسول عليه السلام ويقول"عن صاحب هذا القبر" وكان لا يركب دابة إكراماً لأرضها، وحذراً من التعلي فيها.

وتلك المدينة التي لا أستطيع أن أوفي حقها من الذكر والإعظام لأن لغتي لا تسع ذلك، وأدبي لا يقدر عليه غير أني قد مكثت فيها برهة من الزمن أعدها من خير أيامي ولياليّ.

www.abulhasanalinadwi.org

إني قضيت في الحجاز مدة عام تقلبت خلاله في بلدانه وبعض قراه وكنت أبغي ذلك، وشاهدت آثار الثقافة والدين ورجالات من العلم والأدب، ونهضة أرجو أن تكون مباركة، واجتمعت بشخصيات عظام لا أذكرهم في هذه الفرصة لضيقها وسعة ذكرهم.

فقد وجدت الحجاز أرضاً طيبة فيها حيوية كاملة، وفيها نماذج صالحة، أما البدو فهم أكثر صفاء وأنمى بركة وأكرم نفساً، يحملون من تراث عظماءهم الكثير، وأما رجال المدن والحواضر، فنسأل الله لهم الحماية من طغيان المدنية والمادة.

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الثاني

مقالات أدبية

قدمت هذه المقالات في الندوات العلمية
والأدبية وهي تتناول السيرة النبوية

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

السيرة النبوية لابن هشام
المصدر الأول للسيرة*

أرى كثيراً من الناس لا يعرفون عن كتاب سيرة النبي لابن هشام إلا أنه كتاب تاريخي وكفى، كتاب لا يحتوي إلا على طائفة من أحوال النبي عليه الصلاة والسلام، من نوم ويقظة وظعن وإقامة وسلم وحرب، وذلك كله بالطريقة التاريخية والشكل البسيط مثل الكتب التاريخية الأخرى، إنهم يرون ذلك ويدرسون الكتاب على هذا الأساس، و لا يحاسبون الكتاب غير هذا الحساب، أما أن يحاولوا الوصول إلى أعماق المعاني ويدرسوا الجوانب المختلفة من حياة صاحب السيرة، ويتأملوا سر نبوغه ويلمسوا تلك الروح الملائكية الرفيقة التي تعم في حوادث الكتاب، ويطالعوا تلك العواطف العلوية الكريمة التي تتجلى بين صفحات هذا الكتاب، ويتجسسوا ذلك

* نشر هذا المقال في صحيفة "الرائد"، السنة: ٢، العدد: ٤، أول محرم ١٣٨٠. ٠

www.abulhasanalinadwi.org

اللون الإنساني النبيل الذي يشيع في حياة الرسول عليه السلام، ولا يكتفوا بذلك، بل يتقدموا ويجاروا ذلك الامتداد الذي بدأ من اليوم الذي سعدت فيه الأرض بقدوم الرسول عليه السلام عليها إلي اليوم الذي لحق بالرفيق الأعلى، فيحضروا بأنفسهم في الأحداث والوقائع والأحوال المختلفة التي تنبث في صفحات الكتاب كأنهم ليسوا من هذا الزمان، بل إنهم عاشوا طيلة دراسة الكتاب في زمان الرسول عليه السلام ومع صحابته الكرام، أما أن يحاولوا ذلك كله فشئ لا يعنى به إلا قليل من الناس، ولو أن ذلك ظلم من الناس على هذا الكتاب، و جور ومخالفة لروح الكتاب ومخالفة لما يتطلبه من دارس.

لقد تناول ابن هشام حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيقة العلوية والإنسانية المثالية، وعرضها على القراء عرضاً صادقاً في لفظ بليغ وأسلوب صريح ناعم لطيف لم ينمق في عرضه ذي جمال وبساطة وبلاغة وانسجام، إن الكتاب سجل مختصر من حوادث العهد الذي عاش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولأحواله الاجتماعية و الفردية، و إن ابن هشام قد حافظ محافظة كبيرة على الروح التي تسري في تلك الأحوال باللغة الفصيحة الأمينة، والتعبيرات الصادقة القوية، وبالأسلوب الواضح البين، والكلمات الجميلة، فاستطاع بذلك أن يعبر بقدر

www.abulhasanalinadwi.org

استطاعته عن تأثير الأحداث والأحوال، ويمكن الدارس في الكتاب من أن يصل إلى أغوار حياة ذلك العهد.

إن كتاب ابن هشام ليس للصغار الذين يقدرون على فهم ألفاظه العربية، بل إنما هو للكبار الذين يقدرون على فهم معانيه الأدبية الجميلة، إنه كتاب يجب أن يدرسه الكبار قبل أن يقرأه الصغار.

إن هذا الكتاب قد منح عديداً من المنشئين مجالات واسعة جديدة للكتابة والتأليف، ونفخ في دارسيه ومتأمليه روحاً قوية غريبة، و خلق رجالاً ذوي شخصيات خلقية كريمة، وما أقلها من شخصيات في هذا العصر.

إنه كتاب أدب كما هو كتاب سيرة، وماذا الأدب غير التعبير عن الحياة تعبيراً صادقاً جميلاً، وتعبيراً قوياً رائعاً، يجب أن ندرس هذا الكتاب ككتاب سيرة، وندرسه ككتاب أدب، ويجب أن ندرس هذا الكتاب كمرآة صافية لحياة مثالية كريمة، ونقتبس منه جذوة الإيمان والنور الرائع الذي يشع من حوادث الكتاب وأحواله.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

المدائح النبوية دين وأدب•

إن المديح غرض من أغراض الشعر اختاره الشعراء لعدد من الأسباب، فمنها أن المادح يريد به أداء واجب الشكر علي إحسان قام به ممدوحه إليه، ومنها طلب فائدة أو إحسان يرجوه المادح من ممدوحه، ومنها إشادة المادح بممدوحه لحسنات يراها فيه مخلصاً ويقدرها تقديراً، وقد يكون المدح لعصبية نسب أو وطن أو لغة وثقافة أو لعصبية دين يريد المادح بمدحه نصرة له،ودعماً.

وفي كل ذلك يسعى المادح إلى اختيار تعبير قوي وعاطفي ويدعم بيانه بالإطراء وتحبير القول، وغالباً ما يتجاوز في وصفه حد الصدق والاعتدال، ويدخل في مبالغة وتنميق.

• قدم هذا المقال في ندوة حول المدائح النبوية، ثم نشر في ملحق الرائد للأدب الإسلامي، الأعداد: ٢٨-٢٩-٣٠، شعبان، رمضان، شوال ١٤٠٩

www.abulhasanalinadwi.org

جرى الشعراء منذ القديم في مديحهم على هذا المنوال، وكان ذلك في مختلف اللغات التي أدى فيها الشعر دوره في المديح، ومنها اللغة العربية فقد قيل في المديح فيها شعر كثير قبل الإسلام وبعده، ونال المديح تشجيعاً وتقديراً كبيراً من الممدوحين، وذلك بمنحهم الجوائز السخية لمادحيهم، وبحفاوتهم بهم، وكان العرب في الجاهلية يرتاحون إلي المديح كثيراً لكونه سبب دعاية وشهرة لمكانتهم وخصائصهم الشخصية، ولحصولهم بذلك على أغراض في الحياة، ومنها تزيين شخصيتهم في نفوس الآخرين.

وتدل علي ذلك قصة المحلق مع الأعشى الذي بذل له العطاء ونال منه الثناء.

يقول الأعشى في المحلق:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
علي ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه
كما زان متن الهندواني رونق

www.abulhasanalinadwi.org

يـــداه يـــدا صدق فكـــف مبيدة

وكـــف إذا ما ضن بالمـــال تنفق

وفعلا كسب المحلق بمدح الأعشى له شـــهرة ودعايـــة لشخصيته، واستفاد بذلك في تزويج بناته إلي ذوي مكانة مـــن الناس، واستفاد الأعشي بهدايا المحلق الجليلة التي فتحت قريحتـــه لمدحه مدحاً مؤثراً بدون النظر إلى موافقة القول للواقع، وتـــدل على ذلك قصة زهير مع هرم بن سنان، ولكن شعر زهـــير في مدح هرم بن سنان يتسم بالشعور الإنساني أكـــثر، وكـــانت العلاقة بين المادح والممدوح فيه أكرم وأصفى من غير هما.

كان زهير يمدح هرماً تقديراً لكرامة عمله بإنهاءه لحرب ضروس طويلة، وأعطاه هرم ما أعطاه اعترافاً لأريحيتـــه لفعـــل إنساني كريم، وكان يكثر العطاء، ويزداد زهير تقديراً له فيكـــثر المدح له امتناناً لفضله وحياءاً لكثرة عطاياه.

وقد يكون الهدف من المديح استعطاف الشاعر لرجـــل محبوب أو محترم وطلب عفوه كما وقع بين الشـــاعر الكبـــير النابغة الذبياني وبين النعمان ملك الحيرة حيث يقول مستعتباً.

أتاني أبيت اللعن أنـــك لمتـــني

و تلك التـــي أهتم منها وأتعب

www.abulhasanalinadwi.org

وبت كأن العائدات فرشن لـــي
هراساً به يعلى فراشي و يخشب
فلا تتركـــني بالـــوعيد كأنـــني
إلى الناس مطلى به القار أجرب
ألـــم تـــر أن الله أعطاك سورة
تـــرى كل ملك دونها يتذبذب
لأنك شمس و الملوك كـــواكب
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

هكذا يمدحه الشاعر ولكـــن غرضـــه الرئيســـي هـــو الاستعتاب كما ظهر من أبياته المتقدمـــة، ومـــن الاســـتعتاب المشوب بالمديح هو ما قاله عبد الله بن الزبعري كمعذرة عـــن تأخره في قبول الإسلام ومدحاً للرسول ﷺ :

منـــع الـــرقاد بلا بل وهمـــوم
والليل معتلج الـــرواق بهيم
ممـــا أتانـــي أن أحمد لامـــني
فيـــه فبت كأنـــي محمـــوم
يا خير من حملت على أو صالها
حيرانة سرح اليـــدين غشـــوم

www.abulhasanalinadwi.org

إنـــي لمعتذر إليك من الـــذي

أسديت إذ أنا في الضلال أهيم

مضت العداوة وانقضت أسبابها

ودعت أواصـــر بيننا وحلـــوم

فاغفر فداءاً لك والدي كلاهما

زللـــي فإنك راحم مرحـــوم

و عليك من علم المليك علامة

نـــور أغـــر و خاتـــم مختوم

أعطـــاك بعـــد محبة برهانـــه

شرفـــاً وبـــرهان الإله عظيم

قـــوم علا بنيانـــه من هاشم

فـــرع تمكن في الذرا وأروم

وهذان الاتجاهان في شعر المديح: اتجاه إبـــداء التقديـــر وتقديم الشكر على الفعل الجميل، واتجاه الاستعطاف وإزالـــة الكراهية والجفاء من نفس رجل كريم محبوب مهاب، يتســـمان بروح إنسانية كريمة، ويوجد هذان الاتجاهان في شعر قيـــل في مديح الرسول ﷺ وقد قبله رسول الله ﷺ، وجزى عليه تقديـــراً للمشاعر الإنسانية النزيهة التي احتوى عليها، فقد تقدم إليـــه الشاعر المعروف كعب بن زهير بقصيدته البليغة الـــتي بدأهـــا

www.abulhasanalinadwi.org

بقوله في التشبيب بمحبوبته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وذلك عند ما حضر لديه تائباً عن كفـــره ومعاداتـــه للإسلام ولرسول الإسلام ﷺ، مستعتباً إياه على انحرافه الماضي فيقول:

أنبئت أن رسول الله أوعدنـــي

و العفو عند رسول الله مأمـــول

مهلاً هداك الـــذي أعطاك نافلة

القرآن فيهـــا مواعيظ و تفصيل

لا تأخذني بـــأقوال الوشاة و لم

أذنب و لو كثرت في الأقاويل

إن الرسول لنور يستضاء بـــه

مهند من سيوف الله مسلـــول

في عصبة من قريش قال قائلهم

ببطن مكة لمـــا أسلموا زولوا

شم العرانين أبطال لبوسهـــم

من نسج داؤد في الهيجا سرابيل

ومع أن الشاعر بنى قصيدته على المنهج الجاهلي السائد في عصره، بافتتاحها بالتشبيب الجاهلي، ولكن الشاعر كان قـد

www.abulhasanalinadwi.org

اختار هذا المنهج لتعزيز المدح وتزيينها بالبلاغة والقوة لا لغرض آخر، ولم يكن الشاعر متعوداً على غير هذا المنهج ، ولذلك نالت قصيدته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الرضا والقبول، وما نالت منه هذا الرضا إلا و تلقاها أصحابه وأتباعه أيضاً بالقبول والتقدير، وأعجب بها عدد من مادحيه ﷺ فلتبعوا منهجها فصار بذلك صنفاً معيناً في مديح الرسول ﷺ ، نجد أمثلته في شعر البوصيري و شوقي وغيرهما.

ولم يكن يقبل رسول الله ﷺ الشعر إلا إذا كان نزيهاً وكريماً في غايته، ولم يكن يقبل مدحه إلا من رجل يريد به جزاء إحسانه إليه، فقد ورد في الحديث الشريف " أنه لم يكن يقبل المدح إلا من مكافئ".

ولقد مدحه المسلمون لشعورهم بإحسانه العظيم إليهم، فإنه بلغ إليهم رسالة الله، وكان رحمة عليهم ورأفة، قال الله تعالى:﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾،[آل عمران، الآية: ١٦٤] وقال تعالى:﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال:﴿ولقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤف رحيم﴾[الآية: ١٢٨، سورة التوبة]

علم المسلمون ذلك ورأوا مقدار رحمته لهم، فقد كانت

www.abulhasanalinadwi.org

أكبر من رحمة الآباء والأمهات لأولادهم، ولذلك أحبوه من أعماق قلوبهم، وكان ذلك واجباً عليهم أيضاً، يقول رسول الله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[رواه البخاري] وذكر الصحابي الجليل الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ مشيراً إلى مدى هذا الحب في أحد أبيات شعره:

إن أبي و والده و عرضي لعرض محمد منكم وقاء

وذلك في قصيدة له قام فيها بالرد على هجاء الكفار للرسول ﷺ و بالذب عن الإسلام.

عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات
على أكتافها الأسل الظماء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء
و إلا فاصبروا لجلاد يوم
يعين الله فيه من يشاء
فنحكم بالقوافي من هجانا
و نضرب حين تختلط الدماء

www.abulhasanalinadwi.org

ألا أبلغ أبـــا سفيان عنـــى
مغلغلة فقد بـــرح الخفـــاء
هجوت محمداً فأجبت عنـــه
وعند الله فـــي ذاك الجـــزاء
أتهجـــوه ولست لـــه بكفء
فشركما لخيركمـــا الفـــداء
هجـــوت مباركاً براً حنيفاً
أمين الله شيمتـــه الـــوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم
و يمدحه و ينصـــره سواء ؟
فإن أبـــى و والده وعرضي
لعرض محمد منكم وقـــاء
لساني صارم لا عيب فيـــه
و يجرى لا تكدره الـــدلاء

فإذا تسابق الشعراء المسلمون بعد ذلك لمديح الرســـول ﷺ بأعماق قلوبهم فلا عجب فيه ، ولذلك نجد أمثلة قوية لمديحه ﷺ في شعر صحابته الكرام، وفي مقدمتهم السادة حسان بـــن ثابت الأنصاري، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك رضـــي الله عنهم، وممن جاءوا من بعدهم من الشعراء ، وقـــد مدحـــه واعترف بمحامده ومكارم خلقه عدد من الشـــعراء الذيـــن لم

www.abulhasanalinadwi.org

يؤمنوا به، وذلك لأنهم عرفوا فضله وعلو مكانته ﷺ في سيرته وسلوكه، فقد رأوا من صفاته الإنسانية ومكارم أخلاقه ما حببه إليهم مع عدم قبولهم للإسلام الذي جاء به، فقد قام بمدحه ﷺ عدد منهم، إما اعترافاً بمحامده ومكارم أخلاقه ، وإما استعطافاً له واستعتاباً.

وهذا ما نجده في شعر الأعشى الذي جاء به ليقدمه إلى رسول الله ﷺ كتحية زيارة له يقول:

ألا أيهذا السائلي أين يممت
فإن لها في أهل يثرب موعدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم
تراحي وتلقى من فواضله ندى
نبي يرى ما لا يرون و ذكره
أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل
و ليس عطاء اليوم يمنعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد
نبي الاله حيث أوصى وأشهدا

وكما نجد في شعر قتيلة بنت الحارث القرشية استعطافاً لأخيها المعادي للإسلام حيث قالت:

www.abulhasanalinadwi.org

أيا راكباً إن الأثيل مظنـة
من صبح خامسة وأنت موفق
أبلـغ بهـا ميتـاً بـأن تحية
ما إن تزال بها النجائب تخفق
أ محمد يـا خير ضنء كريمة
في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت و ربما
من الفتى و هـو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فـدية فلينفقن
بأعز ما يغلو بـه مـا ينفق
فالنصر أقرب من أسرت قرابة.
و أحقهم إن كان عتق يعتـق

أما مديح المسلمين للرسول ﷺ فمهما ازداد وأفاض فلا عجب فيه، والمسلمون إذا بالغوا فيه فلن يكون مغايراً للصواب، لأن الرسول ﷺ حوى من المكارم والمحاسن الظاهرة والباطنة ما لم يحو غيره من البشر، وكان فيه الجمال والسمو والكرم والصفات التي تجذب نفوس من يلتقون به ويسمعون له.

وقام حسان بن ثابت الأنصاري و أصحابه في شعرهم للمديح له بالدفاع القوي عن الإسلام، والذب عن مقام

www.abulhasanalinadwi.org

الرسول ﷺ ، و أثنى عليهم الرسول ﷺ وأبدى تقديره لسعيهم ، وقد قضوا بذلك حق محبتهم و تقديرهم للرسول ﷺ ، حتى استقل هذا النوع من المديح كغرض بعينه ، و تنوع بتنوع قرائح أصحابها و بتغير أساليب البيان الشعري باختلاف الزمان والمكان .

وكانت شخصية رسول الله ﷺ تجمع بين الجمال الإنساني وكريم السيرة ، و بين المنزلة و الزلفى عند الله تعالى فحوت شخصيته مواضع مدح لم توجد في غيرها من البشر، وحدث عن البحر ولا حرج.

ثم إن الحديث عن شخصيته لا ينحصر في الإشادة بهدو مدحها وحده ، بل و يدخل في إطار الحب و الفداء الذي يتصف برقة النسيب، ولكنه يتصف بالرزانة والوفاء، و يدخل فيما تغمره العاطفة الدينية المخلصة ، لأنه حديث عن الرسول الذي يصلي عليه ربه و يصلي عليه ملائكته ، وأمر الله تعالى عباده بالصلاة عليه والدعاء له، وجعل على ذلك مثوبة وأجراً، ودعا رسول الله ﷺ لسيدنا حسان بن ثابت الأنصاري عند ما مدحه و دافع عنه، ومن مدحه له ﷺ :

أغر عليه للنبوة خاتم

من الله مشهود يلوح و يشهد

www.abulhasanalinadwi.org

وضم الإلـــه اسم النبـــي إلـــى اسمه

إذا قال في الخمس المـــؤذن أشهـــد

وشق لـــــه مـــن اسمـــه ليجلـــه

فـــذو العـــرش محمود و هذا محمد

نبي أتانـــا بعـــد يـــأس و فتـــرة

من الرسل و الأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجـــاً مستنيراً و هاديـــاً

يلوح كمـــا لاح الصقيل المهنـــد

وأفاض الشعراء في شـــعرهم في النبويـــات إلى معـــاني الشوق والحب، و ذكروا الشوق و الحنين ، فابتكروا بذلـــك لوناً يجدر به أن يسمى بالنسيب الديني، وذلك لأن الرســـول ﷺ رجل حبه دين، والدعاء له عبادة، ولكنه نسيب مصون عـــن هفوات تبدر من معالجي شعر النسيب فهو لكونه حباً لرســـول الله موصول بحب الله تعالى، وأن الاعتناء به يحمل معنى من معاني التوجه والإنابة إلى الله، وهو لكونه شعراً للحب كلام شـــعري رقيق شفاف يملأ القلب روعة ويملأ النفس سحراً.

واهتم الشعراء المسلمون بهذا الغـــرض مـــن الشـــعر، واستخدموا فيه قريحتهم الأدبية ورققوا فيه المعاني، وأجادوا فيـــه التعبير، وأبدعوا فيه الصور، وذلك برزانة وسذاجة حيناً، وبرقة

www.abulhasanalinadwi.org

وإبداع حيناً آخر، وكانوا كأنهم يتلافون بذلك عما يصدر عنهم من هفوات وشطحات في أعمالهم الشعرية الأخرى .

وكان الإطار الديني لهذا الشعر تابعاً لعقيدة التوحيد التي جاء الرسول ﷺ لتوطيدها وتثبيتها، ولكنه لم يكن إطاراً متحجراً خانقاً يمنع من التنويع والتجديد، وذلك لأن محاسن الرسول ﷺ الظاهرة والباطنة تعطي مجالاً خصباً لصاحب القريحة الوقادة، كما أن حدود معانيها المنوعة رحبة واسعة، فقد كان ميلاده ميلاد نور وسرور، وبشرى نفحة وحبور، وكانت بعثته بعثة عالم جديد من الخير والسعادة وفلاح الإنسان، وكانت سيرته وأخلاقه دواءاً شافياً وبلسماً للقلوب الجريحة والنفوس البائسة، وكان وجوده في العالم الإنساني مصدر البهاء والهناء، ولله در الشاعر الكبير شوقي حيث يقول:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله
للدين و الدنيا به بشراء
وحديقة العرفان ضاحكة الربى
بالترجمان شذية غناء
و الوحي يقطر سلسلاً من سلسل

www.abulhasanalinadwi.org

و اللـــوح و القلـــم البديع رواء

نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة

فـــي اللوح و اسم محمد طغـــراء

اسم الجلالـــة فـــي بديع حروفه

ألف هنـــاك و اسم محمد البـــاء

بك بشر الله السمـــاء فـــزينت

وتضوعت مسكاً بـــك الغبـــراء

يوم يتيه علـــى الزمان صباحه

ومســـاءه (بمحمـــد) وضـــاء

زانتك فـــي الخلق العظيم شمائل

يغرى بهـــن ويـــولع الكـــرماء

ما جئت بابك مادحـــاً بل داعياً

ومـــن المـــديح تضرع و دعـــاء

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام مع سمو مكانتـــه وعظمة شخصيته ومحاسن نفسه وفخامة نبوته، كان إنســـاناً ولم يكن إلهاً، وهذا هو الذي يفرق بين تصورات الشاعر الإســـلامي لرسوله وإمامه، وبين تصورات شاعر في دين آخر لزعماء دينه، وهو أمر لا يخفى على الشاعر الإسلامي، ويجـــب أن لا يخفـــى عليه عند ما يكتب مدحاً للرسول ﷺ أو يتحدث عـــن حبـــه

www.abulhasanalinadwi.org

وحنينه إليه .

ولقد جر شعر حب الرسول ﷺ إلى حب كل ما يتصل بشخصيته الإنسانية من أرض ميلاده وأرض هجرته، وكذلك أصحابه وأولاده ثم مجالات أعماله وسلوكه.

وعبر الشعراء عن كل هذه النواحي، بعضهم خصصوا منها جانباً من الجوانب وحصروا إبداعهم الشعري فيه، وبعضهم عمموا فذكروا جوانب مختلفة .

أما اختيار أسلوب النسيب في مديح الرسول ﷺ من ذكر محاسنه الزاهرة، ومن الحنين إلى مدينته الطاهرة، وإلى دروبها الحبيبة فقد اهتم به الشعراء المسلمون العرب وغير العرب غير أن شعراء العجم فاقوا فيه وأكثروا، لأن مساكنهم بعيدة عن وطن الرسول ﷺ ومهد الإسلام، ولبعد الديار تأثير في إثارة عاطفة الحب والحنين، ولهذا النوع من المديح نماذج بليغة .

أما من العرب فتجد نصوصاً رقيقة المعنى في شعر الشريف الرضي الذي تناول الموضوع في بعض قصائده بالرمزية كذلك .

أما في كلام شعراء العجم فله نماذج كثيرة، ولكن ذكرها وتقديم نصوصها يكون سبباً لطول الكلام وهو يحتاج إلى الترجمة أيضاً.

www.abulhasanalinadwi.org

وظهر فضل هذا الصنف من الشعر في ربط هذه الأمم بنبي الإسلام ربطاً قوياً، فقد أحبوه حباً زائداً، وظهر في نفوسهم التفاني وشعور الفداء، فزاد ذلك من قوة صلتهم بالإسلام .

وبذلك ما زالت المدائح النبوية تجمع طبقات المسلمين على الحب لرسول الإسلام، ويجذبهم جذباً إلى الإسلام والفداء له، ولو لم يكن ذلك لصرفتهم العوائق الثقافية والفكرية والاجتماعية الإقليمية والمحلية عن وفائهم للإسلام، لأن ضآلة معرفتهم للإسلام وطغيان الشرور والأحوال المعارضة لم يكونا يتركان لهم مجالاً لفهم الإسلام فهماً صحيحاً، وفي مثل هذه الحالة كانت المدائح النبوية أو حب المسلمين لرسولهم قارب نجاة دينية لهم، وذريعة للنزول على شاطئ الإسلام بأمن وسلام .

على كل فإن موضوع المدائح النبوية موضوع أدبي و ديني في وقت واحد، فهو يحمل متعة أدبية في جانب، وفائدة دينية في جانب آخر ، فإنه يجمع بين الحسنيين، فكأنه باقة زهر فائح وضعت في محراب مسجد أو مكان صلاة.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

لمحات شعورية ونفسية
في كلام الرسول ﷺ

إن نصوص كلام رسول الله ﷺ تحمل مادة أدبية مؤثرة كبيرة، فيها صور من العاطفة الإنسانية القوية والانفعال البشري الرقيق، ويتجلى أثر العاطفة والانفعال هذا بصورة خاصة فى نصوصه التى تشتمل على ظواهر وأحوال نفسية وشعورية معينة.

وهذه الصور الأدبية والأساليب المؤثرة لا تنحصر فى أن تكون مادة يبحث فيها من الناحية الأدبية المجردة فحسب، بل إنها تخدم أيضاً بخصائصها الفنية هذه،تلك الأهداف الكريمة التى بعث ﷺ في الإنسانية لأجلها، وهى الدعوة والتربية وما يتصل بهما، ولذلك تستحق هذه الناحية من أدب الرسول عليه السلام أن يهتم به المعتنون بكلام رسول الله ﷺ بصفة خاصة لأنها تمثل جانباً مهماً من الحياة.

www.abulhasanalinadwi.org

وتتجلى هذه الناحية فى كلام الرسول عليه الصلاة والسلام بعضها عند تعليقه على الأحداث الشخصية، وفى شؤون تحمل طبيعة نفسية خاصة، ويتجلى بصورة أشد وأقوى فى أدعيته ﷺ.

أما المناسبات الاجتماعية التى تتسم بنفسية شعورية خاصة، فنجد من أمثلتها ما قاله الرسول عليه السلام لوفد عبد القيس وهم قبيلة من ربيعة، والمجافاة بين ربيعة وبين مضر التى ينتمى إليها رسولنا العظيم معروفة وظاهرة، وفى حالة وجود هذه المجافاة كان من المحتمل تماماً أن تتحرك فى نفوس أبناء الوفد حساسية ما بسبب قلة الاكتراث بهم وفى استقبالهم، فراعى رسول الله ﷺ تدارك هذه النفسية، ورحب بالوفد بكلام يعالج الموقف خير معالجة، فقد قال: "مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى." [رواه البخاري، باب أداء الخمس من الإيمان] وبهذا بعث في نفوس أفراد الوفد الطمأنينة والثقة بأنهم مكرمون محترمون فلا يحسبوا أنفسهم فى غربة أو بين أجانب، فلا يشعروا بخزي كان يشعر به العرب في مثل حالتهم هذه، ولا يندموا على أنهم وفدوا إلى من لا يحتفي بهم، ولقد كان رسول الله ﷺ في موقف من العزة والقوة حيث كان يمكن له أن يكتفي بإبداء اهتمام عادي فحسب، وأن لا يكترث بحساسية غير عادية من رجل أو

www.abulhasanalinadwi.org

وفد يأتي إليه مقبلاً مستفيداً، فهم في موضع الطلب، ورسول الله ﷺ في موضع الإعطاء.

ومثال آخر من هذا القبيل هو قول رسولنا ﷺ للصحابي الفارسي الجليل سلمان الفارسي:" سلمان منا أهل البيت" [رواه الطبراني والحاكم] فإن هذا القول كما يحمل في طيه معنى جميلاً من معانى مكارم الأخلاق يشتمل على تعبير لفظي يوحي بالثقة والطمأنينة وهو كلمة" منا أهل البيت" بصورة خاصة وهذا الكلام من أدب الرسول ﷺ ويتصل أيضاً بالنفسية الشعورية التى تساور النفوس في مثل هذه الأحوال.

ونجد مثالاً مؤثراً لشعور نفسي مرهف فى كلام رسول الله ﷺ عند مواجهته لمصرع عمه المحبوب حمزة بن عبد المطلب فقد كانت صلة رسول الله ﷺ بعمه حمزة بن عبد المطلب صلة اجتمعت فيها خصائص مودة وارتباط وجدانى عديدة، فقد كان قرين رضاعة له ومدانياً له في السن، وقد تحمس حمزة عند ما سمع عن إيذاء أبي جهل لرسول الله ﷺ ،فثار له وانهال على أبي جهل ضرباً وشجاً انتصاراً لرسول الله ﷺ ،ودخل فى الإسلام محاباة لشعوره بالحب لابن أخيه، ثم دام يناصر الإسلام ورسول الإسلام بفتوته وحماسته، وكان من أبرز فتيان قريش وأشجعهم، فكان الرسول ﷺ يحبه لصلته، ويجد فيه سنداً وناصراً وأنيساً.

www.abulhasanalinadwi.org

هذا العم المحبوب العظيم ينال مصرعه غيلة في موقعة أحد بعد أن أبلى بلاءاً حسناً في الإسلام، ويمثل به العدو تمثيلاً ويهين جثمانه، ويغير من خلقه الكريم، فإلى أي مدى يتأثر بذلك رسول الله ﷺ وهو مطبوع على الرقة والمحبة والرحمة، والموقف من أشد المواقف تأثيراً وإيلاماً لنفسه، يقول ابن هشام:

"خرج رسول الله ﷺ حينما بلغه الخبر يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده في بطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به فجدع أنفه وأذناه، ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً أغيظ إلى من هذا، وقال: لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم" [ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج/٤]، تكلم رسول الله ﷺ بذلك لشدة تأثره ولكنه رجع من هذه الإرادة لما عرف أنها ليست من رضاالله.

ثم مر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني الأشهل وظفر فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله ﷺ فبكى، ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له [رواه الإمام أحمد في مسنده].

تكلم رسول الله ﷺ بهذا اللفظ المشحون لشعور الأسى

www.abulhasanalinadwi.org

والألم وهو النبي التزيه من ترهات البشرية، ولكن الشعور بالفجيعة الدامية حمله ﷺ على النطق بهذا المنطوق الوجداني المصور لنفسه الحزينة، وعرف الأنصار رضى الله عنهم أسى رسول الله ﷺ وكلامه، فأمروا نساءهم أن يبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع رسول الله ﷺ بكاءهن وهن على باب المسجد يبكين عليه، فقال: رحم الله الأنصار فإن المؤاساة منهم ما عتمت لقديمة، مروهن فلينصرفن، وفى رواية في كتاب ابن الكثير فقال: ارجعن يرحمكن الله فقد تأسيتن بأنفسكن، وقال: ما هذا أردت وما أحب البكاء، ونهى عنه [البداية والنهاية ٤/٤٧-٤٨].

وكان قاتل حمزة عبد من الحبشة اسمه وحشي وكان فعل ما فعل طلباً لعتقه لأن سيده كان حمله على ذلك ووعد به، ففرمن رسول الله ﷺ بعد ذلك، والإسلام ينتشر وتتسع رقعته في بلاد العرب حتى عجز من الفرار أخيراً فنصحه الناس بأن يدخل على رسول الله ﷺ مع الإسلام، فإنه لن يؤاخذه بعد ذلك، يقول وحشي: خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه، أتشهد بشهادة الحق، فلما رآنى قال: أوحشي؟ قلت نعم يارسول الله، قال: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة، قال: فحدثته، فلما فرغت من حديثى قال:

www.abulhasanalinadwi.org

ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك. [البداية والنهاية ٤/١٨-١٩]

وفي رواية للبخاري: فلما رآني قال: أنت وحشي؟ قلت نعم، قال أنت قتلت حمزة؟ قلت قد كان من الأمر ما بلغك، قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني قال: فكنت أتنكب عن رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ﷻ.

وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك تجنيباً لنفسه من مساورة الحزن على نفسه بذكر مقتل حمزة، كلما يرى وجه قاتله، وتجنيباً لوحشي من ظلال السوء التي قد تلحقه من تأثير الانفعال النفسي المنبعث في قلب الرسول ﷺ تجاه صاحب هذه الوقعة عند ما يواجهه ويتذكر الحادث المؤلم.

ونجد مثالاً للإحساس المرهف والشعور المتزن الحكيم في كلام رسول الله ﷺ عند خطابه للأنصار في الجعرانة، وذلك عقب غزوة حنين، والأنصار رضي الله عنهم قوم استقبلوا رسول الله ﷺ عند هجرته إلى المدينة أحسن استقبال وقاموا بالقرى والضيافة له ولأقاربه ولأتباعه المهاجرين، وقاموا بكل ما يستطيعونه من الترحيب والمحبة والإكرام، وكان رسول الله ﷺ يعترف بكل ذلك ويعامل الأنصار برفق، ولذلك كان من الطبيعي أن يخطر ببال الأنصار شعور خاص حينما وجدوا أن الرسول عليه السلام قسم الغنائم وجعل سهام الأنصار أقل من

www.abulhasanalinadwi.org

سهام أهل مكة وغيرهم، ولما بلغ إلى رسول الله ﷺ شعور الأنصار هذا تدارك الموقف بخطاب بليغ معجز يستحق أن يعد من أروع القطع الأدبية الفنية العالمية، فقد جمع الأنصار فى حظيرة وتكلم معهم بأسلوب نفسي بليغ فيه الرعاية كل الرعاية بما قد يساور النفوس من خاطر وموجدة.

إنه هون عليهم المتاع المادي الذي كان سبباً لظهور الحساسية فيهم، ولفت نظرهم إلى قيمة ما وهبهم الله تعالى عن طريق نصرهم لنبيه، وعن طريق نزول الرسول العظيم فيهم، وهدايتهم من الضلال الذي كان سبب ضياعهم وهوانهم، وبذلك حرك الرسول عليه السلام في نفوسهم الشعور المضاد لشعورهم السابق، الشعور بتفاهة متاع الدنيا وبعظمة الثروة الإيمانية،ولم يكتف بذلك بل وأفضى إلى صور تعبيرية مؤثرة حيث جعل نفسه في حيز الأنصار بتمثيلهم بلسانه والنطق عنهم، حمد الله تعالى وأثنى عليه أولاً ثم قال:

"يا معشر الأنصار، ما هذه القالة التى بلغتنى عنكم، وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم، أما أتيتكم ضلالاً فهداكم الله بى، وعالة فأغناكم الله بى، وأعداءاً فألف الله بين قلوبكم، قالوا: لله ولرسوله المن والفضل، فقال:ألا تجيبونى يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يارسول الله، لله المن والفضل، قال:

www.abulhasanalinadwi.org

والله لو قلتم لصدقتم ولصدقتكم، أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فواسيناك" [مسند أحمد:٣/٧٦، و زاد المعاد].

انظروا ماذا يكون من تأثير هذه الملاطفة والملائمة مع الأنصار في مناسبة هى مناسبة عتاب، وتصحيح لخاطرهم، فقد دمج نفسه في نفوسهم، وخالط مشاعرهم وأحاسيسهم، وأثر بذلك على نفسية الغيرية التى نشأت أو كادت تنشأ فيهم، ولما وجد أن النفوس تهيأت للانسجام التام ضرب على وترها الحساس ضربة محبة نافذة فقال: "يا معشر الأنصار أوجدتم على في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا،ووكلتكم إلى إسلامكم، أما ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير إلى رحالهم، وترجعون برسول الله ﷺ إلى رحالكم! والله لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا ووديا وسلكت الأنصار شعبا ووديا لسلكت شعب الأنصار ووديها، الأنصار شعار والناس دثار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار" [مسند أحمد: ٣/٧٦، زاد المعاد].

يا للهول من تأثير هذه الجمل، إنها تذيب الحجر وتفجر منه الماء، فكيف لا يتأثر سادتنا الأنصار، فقد وقع ما وقع أن

www.abulhasanalinadwi.org

هملت دموعهم حتى أخضلت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا.

أما أدعية رسول الله ﷺ ففيها أمثلة رائعة معجزة لظهور الانفعال الشعوري، فقد كان رسول الله ﷺ يخاطب فيها ربه، ويناجيه مناجاة تبتل وانقطاع، ليس بينه وبين ربه حجاب، وهو عارف بمقام ربه، وعارف بضعف المخلوقات والإنسان أمامه، إنه يعرف عن نفسه أنه رسول حقا، ولكنه يعرف أنه عبد كذلك فحينما يكون أمام الناس تفرض عليه مسئوليته نحو رسالته أن يقوم بالدعوة والتوجيه، يبلغهم رسالة ربهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، ولكنه حينما يخلو بنفسه وينظر إلى عجزه واحتياجه أمام الله، وافتقاره إلى نصرته فى كل حال فيناجى ربه ويدعوه دعوة بائس ملهوف بالشعور العبدي الخالص، ويجند في هذا المجال طاقاته التعبيرية والبيانية، فكيف لا تكون أدعيته قطعا من البيان المعجز المشرق، والرسول عليه السلام أبلغ العالمين، فإنه من ذؤابة قومه وهو الرسول الأعظم، وزيادة إلى ذلك لأنه نشأ وتربى في أفصح بيئات، ولد في قريش، ونشأ في بني سعد ثم ترعرع وتربى في الفصاحة والبيان، وزادته خلواته في الغار جلاءا في صدق الشعور وحسن التأمل، ثم زينه كتاب الله وأدبه القرآن وهو معجزة البيان العربي، فقد قال عليه

www.abulhasanalinadwi.org

الصلاة والسلام: "أدبني ربي فأحسن تأديبي" [رواه العسكري] وقال: "القرآن مأدبة الله في الأرض" [سنن الدارمي رقم: ٣٣٢٢] وقالت عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ: "كان خلقه القرآن" [رواه مسلم رقم: ١٣٩] فكيف لا يكون رسول الله ﷺ أروع تعبيرا وأجود بيانا وبخاصة فيما يخلو مع نفسه أمام ربه، يتصور عجزه وحاجته، ويرجو من رحمته ونصرته، ثم يحاول أن يضيف ذلك لربه، فأى قدرة بيانية تبقى، ولا تتأتى لهذا الداعي المبين، وبذلك تصبح أدعية رسول الله ﷺ أصدق مرآة لشعوره وأحاسيسه، ومن أمثلة ذلك دعاؤه في عرفات.

فقد وقف في موقف عرفات الذى اجتمع فيه مأة وعشرون ألف عبد من عباد الله، حاسرين رؤسهم، محاكين بوقوفهم هذا وقوفهم أمام الله يوم القيامة الذى لا تملك فيه نفس لنفس شيئا، ويكون الحكم كله لله، يقف رسول الله ﷺ هذا الموقف من عرفات، ويناجي ربه وينطق بكلمات وتعبيرات كأنها قطع من القلب، وتصورات مجسدة متحركة، وتصوير لواقعية العبد الحقيقي الفقير أمام ربه الخبير الغني، انظروا إلى الكلمات والتعبير، يقول الرسول عليه السلام:

"اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شئ من أمري، وأنا البائس الفقير،

www.abulhasanalinadwi.org

المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقـــر المعـــترف بذنـــبي، أسألك مسألة المسكين. وأبتهل إليك ابتهال المذنـــب الذليـــل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لك رقبتـــه، وفاضت لك عبرته، وذل لك جسمه، ورغم لك أنفه، اللـهم لا تجعلني بدعائك شقياً، وكن لى رؤوفاً رحيماً، يا خير المســـؤلين وياخير المعطين"[البداية والنهاية ١٧٥/٥].

إن قيمة الأدب هي أن يصور من الانسان ومن أحوالهـا ما لا يصوره الكلام العقلى العام، وذلك بأن يشعر القـارئ، أو السامع أنه لا يقرأ ولا يسمع، بل إنما ينظر ويشاهد، وبهذه الميزة يلعب الأدب دوراً مهماً في الحياة، ولكن البيان يقتصر علـــى صاحب البيان وعلى طاقاته ومواهبه، وهو يتجلى بشكل قـــوي في كلام الرسول عليه السلام، لقد بدأ رسول الله ﷺ بدعائـــه هذا في صورة عبد بائس ضرير محروم فقير إلى عطـــف ربـــه، خائف من سخطه فهو إذن في ذعر وخوف فإن الرب هـــو رب الأرض والسماء، وبيده المنع والعطاء. فإذا لم ينل العبد رضـــاه وعطاءه فما له خلاص ولا نجاة.

ومن هذا القبيل نفسه دعاؤه ﷺ في الطائف، ولا بـــد قبل قراءة دعائه النظر إلى خلفية هذا الدعاء.

لقد كان الرسول عليه السلام بسبب دعوته فى مكـة في

www.abulhasanalinadwi.org

محنة وبلاء، تمالأت قريش عليه بعقولها ووسائلها وكادت تنجح لولم يكن عمه أبو طالب الذي كان مع كونه متدينا بدين قريش ينافح عن ابن أخيه، ويحوطه بالعطف والنصرة، ولقد وجد رسول الله ﷺ فيه ملجأ ماديا ظاهرا وكانت زوجته خديجة رضى الله عنها تحوطه بالعطف وإدخال الطمأنينة في قلبه حينما كان يعود ﷺ إلى بيته.

ولقد حاولت قريش صرف أبي طالب عن نصرة رسول الله ﷺ ، وحملته على إقناعه بأن يترك الدعوة، وقد تأثر أبوطالب بمحاولة قريش، وتكلم مع رسول الله ﷺ فى ذلك وبصره بالوضع الشائك، فظن بذلك رسول الله ﷺ أن هذا السند الظاهري القوي أيضا كاد يضعف عن نصرته، فأثر ذلك في نفسه ولكنه لم يتغير،لا شك أنه تأثر بذلك، فظهر ذلك فى رقته وبكائه عند رده على أبي طالب، ولكنه كان ثابتا على دعوته لم يتغير، فعبر عن ذلك بخير تعبير و أقوى أسلوب حيث قال: "يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ما تركته" واستعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب وكان قد تأثر من قول ابن أخيه الحبيب، وقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشئ أبدا" [البداية

www.abulhasanalinadwi.org

والنهاية ٤٨/٣].

توفى أبو طالب عمه هذا وتوفيت خديجة زوجته فى سنة واحدة، وأصبح رسول الله ﷺ فى مكة بدون جوار قوي، والأمر صعب بدون الجوار فتوجه الرسول عليه السلام إلى الطائف، وهى المدينة التى كانت تنافس مكة في المدنية والمكانة، وكان يؤمل أنه قد يلقى في الطائف من سادتها من يقبل دعوته ويقوم بنصرته وحمايته، ففي هذه الحالة من الأسى والأمل وصل إلى الطائف مجتازا الجبال والوديان، محتملا لشدائد السفر، ولما وصل إليها ولقي سادتها وجد منهم كل عنف وجفاء، ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا شبابهم وسفهاءهم يتبعونه ويجرحونه بالحجارة، فخرج بائسا حزينا، محطم النفس ضائع الأمل، مجهودا غريبا، فلما ابتعد عن عمران الطائف وتبعه سفهاء الشباب وقد رموه بالحجارة حتى دميت رجلاه الكريمتان، جلس تحت ظل في مكان ليرتاح قليلا، وحينئذ انفجر قلبه بالدعاء.

فيا ترى ماذا يكون الدعاء، وبأي كلمات يكون، و أي تعبير يمكنه أن يستعمله، ألا تكون كلماته كلها عواطف مجسدة تطفح بآلامه وشعوره بالحرمان والأذى المعيب فى حالتي الغربة والفقر، وشدة الحال في المستقبل فهو يتصور عودته إلى مكة، كيف تكون؟ ألا يواجه هناك سخرية وهزءا من هذه النتيجة

www.abulhasanalinadwi.org

التي لقيها بعد جهد وأمل.

ورسول الله ﷺ هو الرجل البليغ صاحب البيان واللسان، فماذا يمكن أن يكون دعاؤه فى هذه المناسبة، هل يكون مرآة لسقوط الهمة واليأس، أو مظهرا لغضبه على هؤلاء الأشرار وطلب عقاب الله لهم، أو تناسيا لكل ذلك، وتواضعا تخفى وراءهما الحقيقة وهو الإنسان والرسول، فإنسانيته تقتضى منه أن يبدو ساقط الهمة أو مستشيطا بالغضب من الأشرار والأعداء، وذا شكوى من ربه كأنه لم ينصره في هذه المحنة القاسية.

ومكانة النبوة تقتضى منه أن يتغلب على العواطف البشرية الحرة ويظهر فى مظهر عبد مطيع لربه ممتثل لأوامره، وهذه هى نقطة بلاغة هذا النص، فقد جمع رسول الله ﷺ فيه كل هذه الجوانب جمعا عجيبا، وبألفاظ وتعبيرات دقيقة ومحدودة فأصبح مثالا للتعبير الشعوري الصادق قلما يجمع نص أدبي بهذا الإيجاز السهل هذه الجوانب المتعددة الصعبة الاجتماع، لقد دعا ﷺ بالكلمات الآتية:

"اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، رب المستضعفين! أنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب

www.abulhasanalinadwi.org

فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنـــور وجـــهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة مـن أن يحل بي غضبك، أو يترل عليّ سخطك، لك العتـــبى حـــتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"[البداية والنهاية ١٣٦/٣].

ينادي ربه، ويشكو له ضعف حالته وضآلـــة تدبـــيره، وكيف أن الناس أصبحوا جرءاء عليه فلا يكترثون لمكانتـــه ولا لقيمته.

ثم يصف ربه بوصف يتناسب مع حاجته إليه مع حالتـــه الضعيفة فيناديه، يقول: رب المستضعفين، لأن الناس استضعفوه إلى حد الاعتداء والظلم فيسأل ربه، هل تركتني يارب ووكلتني إلى غيرك، إلى بعيد مخالف يجافيني وينكر حقـــي، أو عـــدو لي جعلته مالكاً لأموري، فيصنع معي ما يشاء، يقـــول هـــذا ولا ينسى أنه عبد طائع لله في كل الأحوال، مستعد لقبول كل مـــا يريده له ربه و مالكه ومهما كان، وأنه واضع نصـــب عينيـــه رضاه منه وعدم حلول غضبه عليه فيقول: إن لم يكن لك علـــيّ غضب فلا أبالي، ثم يشير في أسلوب الإقرار العبدي إلى افتقـــاره إلى فضل ربه والرجاء منه فيقول: ولكن عـــافيتك أوســـع لي، ويكتفي بهذه الإشارة الخفيّة إلى حاجته، ويعوذ بربه مـــن كـــل سمو، ويعلن عظمة ربه وسموه وأنه نور السماوات والأرض فـــلا

www.abulhasanalinadwi.org

فرار من غضبه وسخطه إلا إليه، وأنه لن يزال طالبا لزواله حتى يبلغ إلى رضاه، ولكنه لا يجد لنفسه قوة فى ذلك إلا بمعونة ربه وفضله.

وهنا دعاء آخر دعا به الرسول عليه الصلاة والسلام عند السفر، والسفر حالة تثير فكر الإنسان وشعوره فهو يفكر في الأهداف المنشودة، ويحتكم إلى عقله فيحمل نفسه على متاعب السفر ومخاطره، حينما يفكر في مفارقة الأهل والإخوان، وفي مخاطر السفر فيشعر بحنين وخوف ويتمنى العودة بالسلامة، يقول رسول الله ﷺ فى دعائه: "اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن ا لعمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعد الأرض، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال"[رواه مسلم].

كلام جامع موجز شامل للمخاوف وطلب العافية وإظهار العبودية والافتقار والالتجاء إلى الرب جل وعلا، ويكرر فيه كلمة اللهم، فيزيد المعنى رقة واستعطافاً.

على كل فإن كلام رسول الله ﷺ حامل للمحات شعورية ونفسية فى مختلف أصنافه من حديث وخطبة ودعاء.

www.abulhasanalinadwi.org

فكل من ينظر فيها بهذه النظرة يجد فيها ما يشتمل على صور مؤثرة منوعة وظلال نفسية موحية كثيرة تتجلى فيها صورة إنسان صادق أمين فى كل ناحية من نواحى حياته الإنسانية، ففيها سمو النبى الذى أكرمه الله بوحيه ورسالته، وبساطة رجل يعيش مع أهله وذويه، ورقة إنسان نشأ وتربى على المحبة للجميع، والصدق للجميع، وطلب الخير للجميع، وهمة رسول عزم على تبليغ رسالته وأداء أمانته، فلا يسأم ولا يكل ولا يماري، ولا يتاجر بل يكافح ويناضل حتى ينجح، حتى قال الله عز وجل: ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ [الشعراء: ٣] صدق الله العظيم وصدق رسوله النبى الكريم، وأنا على ذلك لمن الشاهدين، وصلى الله على نبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الدعاء والمناجاة في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم *

إن خير النماذج النثرية وأبلغها في التعبير عن الانطباعات الإنسانية والخواطر النبيلة الروحية الشفافة هي ما أثر عن رسول الله ﷺ، و هو صاحب حياة تقية طاهرة ، ولد في أفصح القبائل العربية قريش، و ربي في أفصحها أيضًا ، وهي بنو سعد ، ثم تربى على الوحي الإلهي والإلهام السماوي، ثم تعلم من مأدبة القرآن أحسن تعلم، فمن يكون أعذب لفظاً وأحلى منطقاً، و أصدق كلاماً ، وأبلغ عبارة منه ﷺ.

ونصوص رسول الله ﷺ الأدبية هي كلها في النثر، ولم يقل ﷺ شعراً قط، يشهد بذلك كتاب الله تعالى لقوله: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾.

---

* قدم هذا المقال في ندوة الأدب الإسلامي حول الدعاء والمناجاة، ونشر في ملحق الرائد للأدب الإسلامي، الأعداد: ٤٩ إلى ٥٢، جمادى الأولى إلى شعبان، ١٤١١هـ.

www.abulhasanalinadwi.org

وكلامه مرسل، وبديع كلاهما، سهل مأخذه وعذب مورده، معان غزيرة في جمل قصيرة، موجز في موضع الإيجاز، ومسهب في موضع الإسهاب، لم يكن يتكلفه تكلفاً، بل كان يتكلم عن سجية نفسه، يهجر الغريب الحوشي، ويرغب عن الهجين السوقي، وفي كلامه أنواع أدبية صالحة مختلفة من تمثيلات بارعة وحكم عالية، وأمثال رائعة، و وصايا نافعة، وتوجيه وإرشاد، وتشريع وتربية، وابتهال وتضرع ودعاء، ومن أشد هذه الأنواع تأثيراً مناجاته لربه وأدعيته، وكانت الأدعية قسماً جديداً ظهر لأول مرة في الأدب العربي بهذه القوة والجامعية والتأثير، فصارت من أقوى أصناف الأدب، وأسلوبها أسلوب محكم غزير، يصور نفس الداعي وعاطفته الجياشة، وضراعته وتواضعه بين يدي ربه في بلاغة عجيبة.

ومن أمثلتها دعاؤه الذي دعا به في الطائف وقد كان غريباً فيها، بعيداً عن الوطن، جاء إليها ملتمساً لمن يساعده بجواره، بعد أن كان عمه أبو طالب قد توفي، وكان يحرسه من أذى قومه، وكانت زوجته خديجة توفيت أيضاً، و كانت تؤازره وتعزي نفسه، ولكنه لم يجد من أهل الطائف وهي المدينة الأخت لمدينة مكة، إلا أشد مما وجده في مكة من رفض قاس من سادتها، و متابعة الأشرار له ورميهم إياه بالحجارة إلى أن دميت

www.abulhasanalinadwi.org

رجلاه، وجرح قلبه جراحة شديدة وبلغ منه التعب مبلغه، فلما خرج من عمران الطائف،ولم يكن استراح حتى لبرهة من الزمن بعد سفره الشاق الطويل من مكة ، جلس في مكان خارجي، لم يكن له فيه من الناس مواس ولا أنيس إلا خادمه ومولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه، دعا بهذا الدعاء الذي كان مرآة أدبية صادقة لنفسه المكلومة الحليمة:

"اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس ، رب المستضعفين، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن يحل بي غضبك ، أو ينزل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك" [البداية والنهاية ١٣٦/٣].

إنه يعرض على ربه العزيز المقتدر الرؤف ضعفه الذي تجلى عملياً في تلك المناسبة، وهو أن أمره هان على الناس هواناً غير معهود لقرشي مثله لدى سادة ثقيف الذين لهم علاقات أخوية قريبة مع قريش، ثم يستعطف ربه ويبتهل إليه بقوله "رب المستضعفين"ويسترحمه بقوله "إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم عدو ملكته أمري؟"، ولكنه يستدرك ويتوقف من

www.abulhasanalinadwi.org

الاسترسال في التلهف والانزعاج لأن ربه يعلم كل ذلك ولا يخفى عليه شئ من أمره، وليس غافلاً عنه، وهو الذي اختاره وجعله رسولاً، وحمله تبليغ رسالته فهل يخذله؟ ولكن كيف حدث هذا؟ هل غضب عليه ربه؟ ولذلك يقول "إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي" ثم يستعيذ به ويذكر عظَمته ورأفته، ويسأله أن لا يزول عنه رضاه وأن لا حول ولا قوة إلا به.

والدعاء والابتهال مجال للكلام الإنساني تتجلى فيه مشاعر صاحبه وتظهر فيه صورة قلبه الضارع الحزين، وتتجسد فيه عاطفته، وتلبس لباساً من اللفظ مؤثراً أخاذاً لنفس السامع، وإذا كان صاحبه يملك ناصية البيان ويبلغ من بلاغة القول السحر الحلال: فيستطيع القارئ أو السامع أن يلمس في ألفاظ صاحبه روحه لمساً ويراها نابضة متلهفة، وقد ظهر ذلك من كلام رسول الله ﷺ في أدعيته التي تجلت فيها بلاغته المعجزة، واتسمت بسمات اقتبسها من التعليم القرآني المؤثر، حيث نزلت عليه نماذج قرآنية مؤثرة من الدعاء والابتهال لأنبياء الله ورسله السابقين، فتربى عليها رسول الله ﷺ، ثم تجلى ذلك في مختلف أحداث حياته، انظروا كيف كان يصور ما بنفسه ويعبر بدقة كما ظهر في دعائه في الطائف وبدر التي مرت فيها عليه

www.abulhasanalinadwi.org

حالة ضراعة وابتهال مؤثرة عند ما حدث أول لقاء للمسلمين في قيادته ضد أعدائهم الكفار، وقد كان ذلك يوماً فاصلاً للإسلام الذي سعى لتبليغه ودعمه رسول الله ﷺ بكافة مؤهلاته ودافع عنه، واحتمل كل أذى في سبيله هو وصحابته الأبرار، لقد كان يوماً فاصلاً عظيماً، خرج له كفار مكة وأرادوا أن يتظاهروا بقوتهم وشوكتهم، ويعملوا بكل جدٍّ في سبيله، فعبأ رسول الله ﷺ جيشه أمام أعدائه وبذل كل ما كان بوسعه من إعداد وعتاد، ثم انفرد لدعاء ر به والابتهال في العريش ومعه أبو بكر الصديق، ليس معه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعد من النصر ويقول فيما يقول "اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد" [رواه مسلم رقم: ٥٨] وبلغ به الابتهال والتضرع إلى أن اضطر صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ، إلى أن يقول: "يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك" [رواه مسلم] .

لم ينقل الرواة من كلامه في هذا الدعاء غير هذه الجملة الصغيرة وكانت رمزاً لضراعته، وتعبيراً لمشاعره المتحرقة التي لو نقلت العبارة الكاملة التي جاءت فيها هذه الجملة لكانت مثالاً شديد التأثير رائع التعبير، ويمكن أن نتصور ذلك من مثال آخر لدعائه وهو دعاؤه في عرفات وكان دعاءاً يصور مشاعر قلبه

www.abulhasanalinadwi.org

الفياض، معبراً لشعوره بعبدية مخلصة أمام رب العالمين، ولمشاعر الخوف والحذر التي كان يشعر بها ليوم الآخرة، وذلك بلفظ جزل وأسلوب رقيق يقول: "اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، لا يخفى عليك شئ من أمري" يعترف ﷺ في هذا الكلام بضعفه المكشوف أمام ربه فإنه يراه ويسمع كلامه ولا يخفى عليه شئ من أمره، فإن وضع العبد أمام ربه يختلف جداً من كل وضع آخر، إنه يختلف عما يكون بين ملك وأحد أفراد رعيته، وعما يكون بين سيد وعبده، إنما الوضع هنا هو مواجهة لرب العالمين من عبد له مؤمن بربو بيته المحيطة الشاملة، وواثق بعلمه الواسع الدقيق وبقدرته على كل شئ، ثم هو يصور ﷺ في هذا الدعاء حالته البائسة أمام هذا الرب العظيم فيقول: "وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير" يقول ذلك وهو يوافق بكلامه لما أشار إليه ربه عز وجل بقوله في كتابه الذي أنزله على رسوله مخاطباً له في سورة ﴿والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى﴾ وبقوله: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلا فأغنى﴾ فإن الله تعالى يجعل في هذه الآيات شاهداً من وقت الضحى، ووقت الليل على عنايته العظيمة ورأفته برسول الله ﷺ وما هيأ له من وسائل الحياة في حالة مسكنة وضعف كان فيها رسول الله ﷺ،

www.abulhasanalinadwi.org

فقد ولد يتيماً من والده، ونشأ يتيماً من أمه، فحفظه الله تعالى من الضياع ولم يكن له من يهديه السبل، فهيأ الله له السير في سبل الهداية، بإعطائه درجة النبوة، وكان في حالة فقر لم يرث ثروة ومالاً، محروماً من كافله بوفاة والده قبل ولادته ووفاة أمه في حالة طفوليته، ثم بوفاة جده في صغره فشب كعائل كامل العيلة، ولكن ربه الرؤوف أخذ بيده وهيأ له أسباب الغنى، ولم يكن يخفى على رسول الله ﷺ هذه الجوانب، وهو يقرأ القرآن الكريم، ولذلك تصور في دعائه كل ذلك وقال: "وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير" ثم نظر رسول الله ﷺ إلى المسئولية العظيمة التي ألقيت على كاهله لتبليغ رسالة ربه، وكانت مسئولية عظيمة حقاً تثقل ظهره، وتصور جهده في سبيل ذلك فظن أنه قليل، فخاف وحذر وابتهل ابتهالاً معلناً باعترافه بالخطأ بقوله: "المقر المعترف بذنبه" ثم دعا في هذا الجو المليئ بالشعور بالضعف والحاجة والاعتراف بالقصور والخطأ، دعا بكل تضرع وابتهال "أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لك رقبته، وذل لك جسمه ورغم لك أنفه" وأي بؤس يكون أشد من هذه الحالة، وهي حالة مسكين خائف ضرير، كملت فيه جميع أحوال الضعف والاستكانة والحيرة يصورها رسول الله ﷺ

www.abulhasanalinadwi.org

تصويراً مؤثراً بكلمات فصيحة دقيقة، مخلصاً بعبدية كاملة أمام ربوبية ربه القادرة الجليلة، وهو يواصل دعاءه بقوله: "اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسئولين ويا خير المعطين" لقد دعا رسول الله ﷺ ربه بهذه الكلمات وسأله الكرامة والرحمة والرأفة،وطلب منه الحفظ من الشقاء والضياع.

وإليكم نص الدعاء كاملاً ومسلسلاً ترون في عبارته انسجاماً وروعة، وفي معانيه انتقالاً طبيعياً من جانب شعوري إلى جانب آخر منه، يقول ﷺ :

"اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، لا يخفى عليك شيء من أمري، وأنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقر المعترف بذنبي، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذل لك جسمه، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً، وكن بي رؤوفاً رحيماً، يا خير المسئولين ويا خير المعطين" [البداية والنهاية:٥/١٧٥].

لقد وصف رسول الله ﷺ الدعاء بأنه مخ العبادة، وهو وصف بارع له لأن الروح التعبدية تملأ جوانب هذا العمل، وهو يقرب ذهن الداعي إلى خالقه وربه تقريباً عظيماً،والداعي

www.abulhasanalinadwi.org

عند ما يدعو ربه بإخلاص وإخبات يظن كأنه ماثل بين يـــدي ربه، يتبادل معه الرؤية والنظر، وقد وصف رسول الله ﷺ هـــذه الحالة بكلمة الإحسان فقال:"الإحسان هو أن تعبد الله كـــأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، ولقد كانت تظهر من عبادتـه ﷺ حالة تكون هكذا، أما دعاءه ومناجاته فتظهر هذه الحالة منـه ظهوراً قوياً، فعند ما كان يدعو فكأنما انتقل إلى عالم آخر غـــير عالمه هذا المعهود .

وإن استعراضاً لدعواته ﷺ وهي قريبـــة الأســـلوب إلى الدعوات التي ذكرها الله تعالى في كلامه المجيد، إما تعليماً لـــه وإما ذكراً لدعوات أنبيائه السابقين، فإن اســتعراضاً لدعواتـــه هذه ليملأ قلب الإنسان تقديراً و إجلالاً للجو الذي ينشأ مـــن هذه الدعوات، كأن صوتاً يأتي من عالم آخـــر، أمـــا أســـلوبها فأسلوب رائع ورقيق، وبديع سهل، حيناً يكـــون مثـــل المـــاء الزلال، وحيناً يكون متدفقاً كنهر يمر على جنـــادل، مـــهيباً في صوته، وإليكم طائفة من أدعيته ﷺ بنصوصها المسلسلة المتصلة، دعا بها في أحوال مختلفة وهي تغني بنفسها عن ترجمان يشـــرحها شرحاً.

"اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمٰن الدنيا و رحيمها، أنت ترحمني، فارحمني برحمة تغنيني بها عن

www.abulhasanalinadwi.org

رحمة من سواك" .

"اللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وبك المستغاث، وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله ".

"اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، و أعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل، أو نظلم أو يظلم علينا، أو نجهل أو يجهل علينا، أو أضل أو أضل، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السماوات، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تحل علي غضبك وتنزل على سخطك، ولك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم واقية كواقية الوليد، اللهم إني أعوذ بك من شر الأعميين السيل والبعير الصؤل".

"رب أعني ولا تعن على، وانصرني ولا تنصر علي، وامكرلي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك ذكاراً، لك شكاراً، لك رهاباً،لك مطواعاً، لك مطيعاً، إليك أواهاً منيباً،ربّ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري".

"اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل

www.abulhasanalinadwi.org

السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمك، مثنين بها، قابليها وأتمها علينا".

"اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ولا غاية رغبتنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا".

"اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا".

"اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا أرحم الرحمين".

أكتفي بهذه النصوص وهي قليلة من كثيرها، وأدعو الله أن يوفقنا لطاعته ولاتباع رسوله والسعي لاختيار أسوته، فقد قال الله تعالى: ﴿ولكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس

كلمة	٥
المقدمة	١١
القسم الأول	
سيدنا محمد رسول الله ﷺ	١٩
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	٤٩
ذكرى نورانية و مولد خير الا نسانية	٥٧
سيرة الرسول ﷺ مصدر الهداية والنور	٦١
مولد الرسول ﷺ فجر جديد للانسانية	٦٥
أسوة كاملة خالدة للا نسانية	٦٩
حالة الا نسانية قبل البعثة المحمدية	٧٥
من التفلوت و التمييز الى العدل و المساواة	٨١
وحدة المسلمين و تضامنهم و تكاتفهم في أمور الدين و الدنيا	٩١
رحمة للعالمين	٩٥
واجبنانحو ذكرى مولد الرسول ﷺ	١٠٥
الدعوة الى مجتمع متعاون متكامل	١١٣
حب الله و رسوله هما مصدرا طاقات الأمة الا سلامية	١٢١
رحلتي الأولى الى الحجاز منزل الوحي	١٢٧
القسم الثاني	
السيرة النبوية لابن هشام المصدر الأول للسيرة	١٣٧
المدائح النبوية دين و أدب	١٤١
لمحات شعورية و نفسية في كلام الرسول ﷺ	١٥٩
الدعاء و المناجاة في كلام الرسول ﷺ	١٧٧
فهرس الموضوعات	١٨٨

www.abulhasanalinadwi.org